في الوعي

بين الفكر والتنظيم

بكر أبو بكر



Manal Deeb

دار الأمين للنشر والتوزيع

مركز الانطلاقة للدراسات
ALENTILAQAH RESEARCH CENTER (A.R.C)

بكر أبوبكر

في الوعي

بين الفكر والتنظيم.

دار الأمين للنشر والتوزيع

في الوعي
بين الفكر والتنظيم

المحتويات:

الفصل الاول:

في الفكر والتنظيم، ومعادلة النصر.

في الفكر والتنظيم، ومعادلة النصر.

هل تقاس صوابية الفكرة بمقدار عدد من يتبناها فيمارسها؟ أم تقاس صوابية الفكرة بمقدارمن يؤمنون بها فقط حتى لو لم يمارسوها؟ أم تقاس صوابيتها من ذاتها؟ أم من مقدار تأثيرها إيجابا ام سلبا في الناس والجماهير؟

بمعنى آخر هل انتشار الفكرة أي فكرة هو حكم على صحتها أومصداقيتها؟ قد تجد من الإجابات بين النعم واللا الكثير، ولكن النظر بمقياس التناظر التناقضي لا أظنه يصدق في كثير من الحالات كما حالنا هنا.

الفكرة بمعنى أنها: عملية صراع أو حوار بين مجموعة مواد أو أفكار سابقة ولاحقة في الذهن، أوباعتبارها وليدة أفكار جديدة أو متخلقة عن الأولية نتاجا لصراع يؤدي لانتزاع فكرة ضمن جهد عقلي شاق هي نتاج عقلي لمكون عقلي قد يكون مرتبط بالواقع، أوسلسيل خيال اوإيمان غيبي.

الفكرة بين الجماهيرية والصواب!

المكون العقلي الأول أو المادة الأولية أو الفكرة الاولية التي تمثل ما استقر في ذهن الانسان من الصغر، في اللاوعي، أو في مراحل من حياته وارتباطاته تلك التي صنعت فيه المرجعية أومحرك القرار، أومرجعية القيم والأسس الحاكمة لطريقة انتاج الفكرة.

قد يكون المنهج المتبلور عبر السنوات والتجارب، أو عبر الدراسة والثقافة قد تكون وتتشكل في الانسان ليحدد عبرها مسار الانتزاع أو النجاح في عملية صراع الأفكار، لذا فإن امتلاك الفكرة الأولية التي قد تختزن في اللاوعي يقابلها امتلاك المنهج الذي يكون الانسان به بصيرا فيتمازجان معا في عملية القدرة على انتاج الفكرة الجديدة

الفكر الجديدة قد تكون مقبولة أو مرفوضة، ما يدخل بها هنا قيم وعادات المجتمع او ثقافات مختلفة أو مقدار واقعيتها أو خياليتها، أو قد تراها مقبولة لمن يمتلك أدوات البحث أو حسب منهجه المنفتح أوالمغلق، وتكون الفكرة غير مقبولة لمن لا يتنسم عبر الحرية ولا يفهم معنى التنوع والتعدد بمنطق الحوار الديمقراطي.

الفكرة قابلة للعيش عبر الزمن، وقابلة للنجاة من الخذلان أو الذوبان أوالاهمال متى ما استطاع شخص أو فئة مؤثرة، وتمتلك قدرات النشر والتأثير في الآخرين عقليا وميدانيا معا، بمعنى أن فكرة صحيحة (أوغير صحيحة من زاوية نظر أخرى) تدوم ماتوفرت لها عوامل

الإيمان والنمو والنشر من شخص مؤهل أو مجموعة، فتصبح رائجة ومنتشرة ومتبناة، ولم يكن يوما الرواج (الجماهيرية) فقط للفكرة دلالة نجاحها أو مثاليتها او صحتها، بالطبع استنادا لمرجعيتنا التي تشكل المقياس والحكم.

فكرة الفكرة الصحيحة والخاطئة باعتقادي تنطلق بالتحديد من المخزون الثقافي والمرجعية للشخص، وفي الإطار الوطني الفلسطيني فمن المفترض لمرجعية أي فكرة (سياسية، او غيرها) أن ترتبط بالهدف العظيم وهو تحرير فلسطين، وبذا يصبح مبدأ التحرير مرجعية قيمة يتم الحكم بالرجوع لها لمدى صلاحية أي فكرة أخرى.

وعليه لا يجب التقليل من أهمية التربية والتثقيف والتدريب هنا لتحقيق الإيمان والاكتساب للمبدأ اوالركيزة الحاكمة، مع امتلاك المنهج.

الركيزة أو المبدأ تمد المنهج بالمرجعية، واختلاف المرجعيات قد يكون مفتاح تقبل وانفتاح حين التعددية في إطار الاتفاق على الغاية المركزية/الركيزة، وقد يكون باب انقطاع وعداء حين تتشبث المرجعية بمنطقها الاقصائي لما غيرها فيحدث التباعد والتننابذ

الفكرة الثابتة تتحول الى مبدأ، وحين يتم التمسك بها دون أي تجديد تتحول الى أيديولوجية متطرفة، وعندما تصبح الأيديولوجية بمنطقها الإقصائي مبدأ ومرجعية تدخل مرحلة منهج الفسطاطين أوالمعسكرين: أنا أو هُم، فلا ترى عبرها الا اللونين (الاسود والأبيض فقط) وتبدو كل الألوان الأخرى وكأنها تنويعات على وتر الضد.

الفكرة إما أن تكون ضعيفة بضعف حامليها، متذبذبة ، او قوية بقوتهم العقلية أو الروحية أوالتأثيرية الاتصالية (القدوة)،أو بمدى تطبيقها بالميدان.

وأيضا لا تعني قوة الفكرة وتأثيرها صحتها أو صحتها المطلقة أي الى الأبد إلا إذا ارتبطت بتبدل العيون مع اختلاف الأزمان، وما يتبادل معا اختلاف مناهج البحث وطرائق النظر.

صحة الفكرة ترتبط بالمرجعية، أي كانت، والتي تتحول لمقياس قضائي إما صح أو خطأ مطلق، وقد ترتبط بمقياسها الفلسفي الشمولي، وقد تفهم الفكرة بمرجعية أو بمنطق التغيير هنا فتتدفق في إطار التجدد لتكون قادرة على الحياة والتطور والنمو.

جماهيرية الفكرة أي فكرة فمما سبق، ليست دلالة ولا هي حجة على صحتها، ولاسيما صحتها المطلقة، الا بمقدار الوعي بالمرجعية وقدرة الفكرة على خدمة الثقافة وخدمة الفكر العام وخدمة الجماهير.

صلابة الفكرة

قد تكون الفكرة ضعيفة بذاتها، فتحتاج لإثرا وإغناء وتفكر جديد، وقد تكون قوية بذاتها وتحتاج لإيمان وتبني ونشر، ولكن في حالة الإيمان بالفكرة يجب ألا يتم الاكتفاء بالايمان لوحده والا لكان مصيرها حين الاستقرار بالذهن دون العمل في سلة القمامة العقلية أو في مزبلة التاريخ.

أن الايمان بأي فكرة تعتقد أنها صحيحة، يفترض معادلة ثلاثية مكونة من

أولاً:التبني لها بأن تصبح منهجا أو تصبح فاتحة للأفكار الجديدة ومجال حوارها، او سجالها.

وثانيًا أن ننشرها نحن، وندعو لها، فبدون دعوة ودعاة واستقطاب تظل الفكرة تراوح في رأسي أو في أدراج المكاتب أو في كتب التاريخ

وتأتي المرحلة الثالثة المتعلقة بالفكرة وهي مرحلة التبني التي قد تظهر في ذات الشخص عبر القدوة وقد تظهر عبر المؤسسة او التنظيم عبر التطبيق من خلال إدراجها ضمن فكر وثقافة التنظيم في كافة وسائل عمله عبر الاجتماع الدوري وعبر التقارير وعبر اللقاءات التنظيمية وفي مسار العلاقة مع الجماهير.

الفكرة الضعيفة او المتذبذبة بمعنى تلك التي لا تستطيع الصمود أمام غيرها قد تكون منها، وقد تكون لقصور فظيع في حامليه، قصور في الاستقطاب او الاقناع أو التأثير، وربما لضعف الإيمان والتشكك

أصلا، او للنظر في المساحة الواسعة بينها أي بين الفكرة (النظرية) والتطبيق التي تجعل من الفكرة في ذهن الشحص تتراوح بين الأيمان وبين التذبذب.

ومن هنا ننطلق لضرورة تصليب حَمَلة مشاعل النور(الفكرة) أولا ليستطيعوا أن يشعوا به الى الآخرين، ولا قيمة لمشعل لا يضيء الا استعداده لتقبل النار التي تتحول بالحركة (التبني) من مكانها الى نور يضيء للآخرين.

إن صلابة الفكرة بمقدار صلابة المؤمنين بها، الذين يستطيعون تطويقها بجدران من حديد الاقناع والحجج والتأثير، فتكون حقيقة الصلابة في الناس والتبني وليس ذات الفكرة لوحدها باعتقادي، لأن المقياس المحدد لصلابة الفكرة إما مدى ارتباطها بالمرجعية أو مدى قدرة الحكم عليها وفي الحالتين فهذه قدرة إنسانية.

النواة الصلبة والدوائر وخوض الصراعات

يحيط بالكيان سواء أكان كيانا بشريا، إنسان، او سياسيا أواقتصاديا...الخ مجموعة من الدوائر تلك القريبة منها، سندا ودعما وحماية، والأخرى البعيدة.

وكلما اقتربت الدائرة كلما كان تأثيرها على المركز أكبر، ومن هنا فإن مسعى الجاهل أوالأحمق اوالانتهازي هو تفجير الدوائر، أو نقل مكونات الدوائر البعيدة منها الى الأبعد، والقريبة الى البعيد.

فكرة تدمير المركز تأتي سواء بأفعال مهدفة أو أفعال طائشة، بينما الحكمة تقتضي تغليظ حدود الدائرة القريبة والعمل على توسيع نصف قطرها لما لها من جدار حماية متين للمركز.

المركز-مركز الدائرة قد يكون أنا، أو نحن، أو الكيان مثل المؤسسة أوالبلد أو الأمة، وهنا يهمنا في هذه المعادلة فلسطين.

في قاعدة تكثيف العناصر الداخلة في نطاق الدائرة الأولى، لا يعني المرور بحالة رياضية تقرّب أو تبعد كما الحال مع واحد زائد واحد، وإنما تعني خوض الصراع الداخلي،والخارجي.

إذ أنه بقدر ما يجب فهم الآخر، وطريقة التعامل معه، ضمن رؤية واضحة للهدف وديمومة النضال وتعدد وسائله بقدر ما قد نتمكن من جلبه وتقريبه لدائرتنا، او الدائرة الثانية وهكذا.

تمثل الثوابت الفكرية عوامل غير قابلة للتغيير في المرحلة، فالثورة أوالنضال يفترض وجود نواة بشرية صلبة مؤمنة بالفكرة والهدف والوسيلة وتنشر وتدعو وتدافع عن ذلك.

النواة الصلبة من مهامها توسيع الدائرة حول الفكرة، وحول الهدف وحول القضية المركزية، بخوضها النضال بكافة أشكاله.

نحن نخوض نضالات على مستويات عدة، فنحن نخوض النضال (الجهاد) الذاتي التغييري، والنضال في المحيط سواء القريب أو البعيد، والنضال الاكبر ضد العدو الرئيس.

أن خوضي نضالي الذاتي بتغيير طبيعة شحنات عواطفي اليائسة، أوبتغيير أفكاري القاتمة أوالسلبية أو اليائسة بجرعات الإرادة المنفتحة على الأمل المفعم بالإيمان هو قرار ذاتي قابل للشحن والشحذ والتمرين على حجر الوعي الذي يجعل من قضية الصراع بأبعاده المختلفة وعيا أوليا لايمكن الاجتياز للعقبات أو العبور للشط الآمن بدونه.

أن الصراع لكي يحقق الهدف يحتاج لصراع وصراعات، وكل نتيجة تتحقق من صراع يكون في بطنها بذور صراع جديد، ومن هنا فإن معادلة الصراع تظهر كأنها متوالية لا تتوقف.

تأتي هنا قضية الثابت والمتغير، فمتى كان فهمنا لمتغير الصراع واضحا يصبح "متغير" الصراع هو الثابت، وتصبح مجموعة من الأركان الداعمة لهذا الفهم ضرورة.

التنبّه وثوابت الفكر النضالي

من ثوابت الفكر الثوري الفلسطيني هو تكثيف النقاط الداخلة في نطاق الدائرة الأولى المحيطة بنا أي المحيطة بالمركز، وعدم إلقاء المخالفين في البحر الواسع البعيد عن دوائرنا الثلاث الرئيسة، وإنما خوض الصراع معهم وبهم، بما يعيد الضم للدائرة الأقرب، فالنصر يتأتى من معادلة الإيمان والعمل والدعم والإسناد من هذه الدوائر-على اختلاف درجة تأثيرها ومستوى دعمها- بلا أدنى شك.

إن الدوائر المحيطة بالقضية الفلسطينية كمركز تنبّه للوعي القومي، والوعي الحضاري، والوعي الوجودي، والوعي التحرري ترتبط بفكرة النضال والثورة حتى تحقيق النصر.

إن كانت دائرتنا [الجماهيرية] الأولى في السياق النضالي التحرري لفلسطين، هي الجماهير الفلسطينية المتحلقة نحو الفكرة، نحو مركز التنبه نحو فلسطين، فأننا بأمس الحاجة لجعل الدائرة متينة، ثم تتسع لتحول الدائرة الثانية وهي الجماهير العربية الى الأولى، لأن الأمة المرتبطة بنا جغرافيا وبشريا ولغويا وتاريخيا وحضاريا ودينيا (المسلمين والمسيحيين في دائرتنا العربية)، هي الجدار الحامي وهي الحاضنة ما ثبت بحقائق التاريخ القديم، والحديث منذ النكبة عام ١٩٤٨م. ثم يلحقها الدائرة الثالثة الممثلة بجماهير الدول الإسلامية الأخرى، وأحرار العالم.

أما الدائرة [الفكرية] الأولي فلا تقف عند حدود الجنسية بقدر ما تتصل بجميع أحرار العالم الذين يؤمنون بفكرة فلسطين والحق الفلسطيني

والنضالية الفلسطينية بغض النظر عن دين أو جنسية الشخص، لأن الارتباط هنا في مفهوم الدوائر ارتباط فكري وحقوقي، وفي الحد الأدنى سياسي مصلحي، يرى بالعدالة المتحققة في فلسطين مكسبا له كما هي دعم لنا. وبغض النظر عن حجم التأييد هذا إن كان من المستوى الأول (الدائرة الأولى) سواء فهمت أنها تحرير فلسطين وإقامة الدولة الديمقراطية لكل سكانها من مسلمين ومسيحيين ويهود، أو فهمت استقلال دولة فلسطين على حدود ١٩٦٧ فأننا نحتاج للفئتين في سياق الصراع الفكري في الدائرة الاولي ما بين الهدفين وما بين الأولوية أو فكرة المرحلية بمعنى صحة فكرة أن هذه تؤدي لتلك.

مركز التنبه الأساس أيضا هنا، ومنطلق الصراع الوجودي الرئيسي هو وضوح الرؤية بالعدو الرئيسي، الذي لا يتغير –وهو في حالتنا الاحتلال الاستعماري الصهيوني-مهما قام الخصوم أوالمتناقضون الثانويون بحرف المسار، كما حصل في مراحل كثيرة من عمر الثورة.

في مراحل عدة قام النظام السوري أوالنظام العراقي أوالنظام المصري أوالنظام الليبي أوغيرها من الأنظمة العربية، بحرف الثورة والمسيرة عن مركز التنّبه، وعن تناقضها الرئيس مرات عديدة، ولكنها -أي تلك الأنظمة جميعا- لم تكن في تلك الفترات ولا اليوم لتمثل بالنسبة لنا إلا التناقض الثانوي، مهما بدا حينها عملاقًا من القذارة يغطي لوح الشمس، ومهما بدا أولوية في لحظات الصراع الشديد.

معادلة النصر

في مركز التنبّه للقضية يفترض الوعي أن معادلة النصر تأتي بالتضحية والإيمان، فبدون تضحية بالوقت والجهد والعطاء والمال والنفس فلا نصر أبدا.

بدون إيمان الله سبحانه وتعالى ونصره الأكيد ضمن شرائطه ، وبدون إيمان لا يتزعزع بحقنا التاريخي والقانوني وروايتنا الحقيقية والأصيلة، وبدون أيمان بالعدالة والديمومة، وبقدرة شعبنا الجبارة تضمحل الأهداف وتنتحر الشخصية الوطنية أو تتساقط على درب المغريات والامتيازات فتصبح عالة على الثورة أو خنجرا في ظهرها.

إن مركز التنبّه في الدائرة أيضا يفترض العمل بلا كلل بالمطلق لقضية فلسطين، التي هي دون سواها تشكل مركز التنبّه لنا، في العقل، وفي الروح. ومركز التنبه في ذات الأمة الواحدة، ومركز التنبه في مجال الحركة التي يجب ألا تهدا من قِبَلي، وقِبَلك، ومن قِبَل من أسخّر نفسي لتكثيرأعدادهم ليكونوا مثلي من دُعاة المركز، والدائرة الأولى (جماهيريا وفكريا ونضاليا) حول مركز التنبه ممثلا بفلسطين.

الأمة نحو الدائرة الأولى دومًا

فلسطين عبر التاريخ لم تقم لها قائمة الا بتحالفات الداخل مع تحالفات المحيط العربي والإسلامي دائرة دائرة، وهذا ماكان من شأن كل حروبها التحررية المعروفة، أو غير المعروفة حديثًا مثل التحالف الفلسطيني المصري الذي أقامه ظاهر العمر الزيداني في القرن الثامن عشر فأنشأ أول دولة فلسطينية في العصر الحديث.

لم يكن النفس العروبي والاسلامي في منطقتنا عنصريا وإنما هو حاجة تاريخية حضارية ثقافية ترتبط بالدائرة الأولى، التي تضم وحدة اللسان، وما يرتبط بها من ثقافة وحضارة أمة أسعدها الله بنعمة التوحيد ما بين المسيحيين والمسلمين، وما الدوائر الأخرى المنبثقة عنها من شعوب أوقوميات الا توسعة هامة لهذه الدائرة، وليس حلولًا في مكانها أبدا.

الدائرة الأولى حول القضية الفلسطينية التي تشكل الثابت الأصيل هو محور التمسك بالقضية والايمان بقدسيتها وعدالتها وتحرير فلسطين ضمن شعار الفلسطينيين الخالد ثورة حتى النصر.

إنه النصر الذي من أبرز مقوماته الإيمان والعمل والوحدة الداخلية وإن تعددت الآراء فالوحدة المطلوبة هي وحدة الارتباط بفلسطين، ووحدة الارتباط بالتحرير ووحدة الارتباط بالإطار الجامع الذي استطاعت الثورة الفلسطينية أن تشكله من خلال منظمة التحرير الفلسطينية، لذا

كان في الثورة الفلسطينية حتى ضمن الدائرة الفكرية النضالية الأولى مختلف القوميات والأديان والمذاهب الفكرية.

في هذا التنوع المحمود حول الهدف تكون الدائرة الأولى حول المركز قد اتخذت هيئتها، ومن يحاول أن يُسقط الدائرة أو يفجرها فهو قطعًا خارج عن الصف والهيئة والتنبّه.

وفي الدائرة الثانية مرتكز أصيل وحائط لا يمكن الاندفاع دون الاستناد له، فإن لم يكن الحائط الثاني (الجماهيري) صلبًا ومؤيدا وداعما –حتى على ركاكة أو ضعف أو عدم اكتمال الدعم منه- فنحن في حالة الاستفراد والتخلي التي معها نضطر لخوض النضال تحت شعار "يا وحدنا" الذي كلما ابتعدنا عنه بفهم طبيعة التناقضات وحسن إدارة التعامل معها كلما اقتربنا من بشائرالنصر.

توسيع الدائرة

إن الدوائر اليوم تلك التي يجب تنميتها بحقيقة الالتفاف حول النضال الفلسطيني تبدو ضعيفة وغير متماسكة وتبدو العناصر المكونة لها مختلطة بحيث لا تستطيع أن تستبين شكلها من الداخل والخارج.

أين نحن من الدائرة الأولى؟ فكريا وجماهيريا ونضاليا وأين دول العرب من الدائرة الثانية، وأين الأمة أو الأحرار والأبرار في مقابل الفجار والكفار؟ بينما يشدنا التحزب والالتفاف نحو الشخوص

والايديولوجيات والزائل، والاقليمي، بعيدا عن مركز التنبّه؟ وبعيدا عن المشتركات والمباديء الجامعة؟

فلسطين مركز التنبّه، وكلما اتسعت الدائرة المحيطة بها، وكلما زحزحنا الآخرين بشخوصهم أو فكرهم أو نضالهم (الميداني) معنا ليقتربوا من الدائرة الثانية فالأولى كلما اقتربنا مقدارا كبيرا من النصر.

نحن جزء لا يتجزا من هذه الأمة بحضارتها وتاريخها ومستقبلها، ويزداد نضالنا قوة بها، ونضعف كلما تفتّتت تحت ضربات الصهيونية، أوتحت ضربات القوى الإقليمية، أوالعالمية التي لا تسعى الا للهيمنة وتحطيم الأمة فداء لمصالحها الاقتصادية وهيمنتها وفداء للكيان الصهيوني.

مهما يكن الاختلاف مريرًا فإن الوعي بضرورة الارتقاء للعودة لمركز التنبه، هي من الثوابت التي تجعل من الأخ أخًا من الحياة حتى الممات، لذا فإن علوّ صوت المنبه الأساسي وهو القضية المركزية تصبح القاعدة والثابت التي تقضي على النباتات المتسلقة والطفيليات المتمحورة فقط حول المكتسبات التنظيمية او الشخصية او السلطوية .

فكرة الأمة والنظرية والتطبيق

من المهم أن يكون لدينا سعيٌ واضح للفهم، كما السعي للتغيير لأن المدخل لأي خطوة صحيحة نحو التقدم هو الوعي والفهم، وعليه فإن التبني لأي مباديء يكون مرتبطًا بالتفكر والتأمل مادام التغيير هو الهدف.

إننا نحتاج لربط الأمة بحبلٍ وثيقِ الالتفاف حول مبادئ أو مقومات منها:

1- التاريخ الجامع، والجغرافيا المتصلة
2-العلاقات الاجتماعية واللسان العربي الجامع،
3- الحضارة والثقافة الديمقراطية المشتركة،
4-الحرية والكرامة وقبول التنوع في الإطار العربي الجغرافي المنفتح.
5-" الفهم" الرحب الفكرالاسلامي في منطقتنا،وبمسيحيينا،
6-وضمن مركزية فلسطين كوعاء جامع.
7- والارتباط بالمفهوم المصلحي الاقتصادي التكاملي لهذه الأمة.
8- المفهوم الانساني والتقدمي في التطوروتحقيق المستقبل الواعد

كل هذا في الدائرة المكونة لجدار الأمة العربية الأول وهو الجدار الحامي لمركزية فلسطين وقضية فلسطين وتحررها،يلي ذلك المحيط الاقليمي كدائرة لاحقة.

وإن لم يوجد من يتبنى مثل هذه الفكرة أو المقومات فذلك لا يقطع بعدم صلاحيتها، وانما اختلاف النظرة منها، وقدرة حامليها على نشرها أوغرسها.

حُسن التقبل للفكرة يحتاج لدعوة ولأطر جامعة ويحتاج عوامل ذاتية وموضوعية ان لم تتوفر الآن، قابلة للتوفر مستقبلا في ظل متغيرات الاقليم والعالم.

اختفى مفهوم التحليل الأحادي للتاريخ أو المتغيرات ذاك التحليل الذي يرتبط بعنصر موحد واحد وذلك لأن تشابك واجتماع مجموعة من العناصر الفكرية والميدانية الواقعية مع النشاط التنظيمي-الفكري الداخلي ضمن البوابة المفتوحة على المتغيرات هو القادر على إحداث الفرق والتغيير وصنع التاريخ.

بمعنى آخر فان الدين الاسلامي هكذا مجردا قد لايكون بين معتنقيه خلاف، ولكن الخلاف الحقيقي في اتجاهات ثلاثة رئيسة:

الأول: طريقة الفهم، ومنه تنشأ التيارات

والثاني: في الاستغلال، وهو ماتقوم به غالب الأنظمة والمتطرفين فداء للكرسي والمصلحة وأوهام الخلود.

والثالث هو في إدراك معنى التنوع في ظل الصراع وقبوله.

وعليه تستطيع أن نستخدم المقوّم أو العامل الأساس (الدين) ليس مجردا، وإنما مرتبطا ب[الفهم] او [الاستغلال] أو [لادراك السليم

للتنوع] فيتوفر لدينا عاملان من ثلاثة وهما لوحدهما لايفسران حركة التحشيد أو التجميع أو التغيير.

إذ لابد من النظر في عوامل أخرى كثيرة تتعلق بالمستهدفين بالفكرة، وطرائق تحشيدهم وطبيعة القوى المتحكمة بالمجتمع...الخ، ما يحتاج هنا لعامل الربط والتشبيك وتوسيع مساحات الاتفاق والاطر القائمة.

وبالقطع فإن عامل ضخ مجموعة من القيم قد يمهّد او يقترن بالعوامل الجامعة السابقة لتُحدث التغيير بالمجتمع أي مجتمع.

لذا فان نظرية ماركس-لينين التي حبلت بالتفسير الطبقي ولدت فناءها من ذاتها متى ما تجمدت، كما الحال في النظريات الاسلاموية الإقصائية الجديدة سواء التي تستخدم الناس وتستغلهم تحت رداء الدين شعارا بلامضمون، او تستغله لهدف مصلحي للبلد او التنظيم أو الزعيم وهي الغالب فإنها تحمل بذور فنائها في داخلها.

إن نظرية تكامل العوامل أو تضافرها وفق فهم صحيح للمرحلة القائمة، وفي إطار الوعي بالمتغيرات الداخلية والخارجية، وتتبع مسار المتغير الاقتصادي والثقافي الفكري وعبر توسيع الوعاء في فهم التناقضات واحسان التوازن بينها هو القادر على إحداث الفرق.

قد يسأل سائل أين كل هذا الفكر النظري من التطبيق؟

سؤال مشروع ولكن مشروعيته ان استندت لنظرة أحادية العوامل في التفسير، أو لوهم أن لاحركة للتاريخ، وإنه مجرد يكرر نفسه! أو لعدم وجود إدراك واعي لحقيقة قوى التغيير وتحليلها بالضرورة ستنتج فهما منحرفا أو خاطئا.

لذا فان التمهيد، ثم التبشير أو كليهما مراحل هامة يتبعها التحشيد في إطار قبول التنوع لتحقيق النشر والتوسع، ما يقتضي مد الخيوط

وإمساك العقل عن التناقضات الثانوية، وتكريس النظرة باتجاه ثابت وبخطى متعرجة (تكتيكات) ضمن السير في حقول الالغام.

الفصل الثاني:

الانسان الواعي والحوار/الصراع الذاتي

الانسان الواعي والحوار/الصراع الذاتي

بين الحوار والصراع تقارب وتضاد يعتمد على زاوية النظر او طريقة الفهم، بمعنى أنك ان افترضت أن الصراع يعني أن تتخذ موقفا من الآخر ذو طابع حدي إلغائي إقصائي، فبذا يصبح الصراع في نقيض مع الحوار الذي يعني بشروطه الاولى الاعتراف بالآخر ثم اتاحة المجال المتبادل للنقاش من حيث هو تبادلية والتزام.

حوار وصراع!

إن رأيت الصراع سمة للحياة، من حيث هي استخلاف وصراع دائم بين مكونات متضادة او متباعدة بمسافات مختلفة ، فإنك تقترب لتتخذ موقفا قد يعرف الحوار بأنه صراع أو درجة من درجات الصراع في أقله.

الصراع بالتعريف الإقصائي هي فكرة الأبيض والأسود، ولا ألوان بينهما، وأنا ومن بعدي الطوفان ومدرسة إيجاد النقائض للقضاء عليها.

وهي مدرسة الفسطاطين بحيث يكون طرف في فسطاط (معسكر) ويقابله الآخر في المعسكر المناويء، ما يعني أن حالة الصراع بهذا التعريف المحدد هي حرب تنطبق عليها قوانين الحرب التي منها حين التمكن إبادة الآخر.

وجهة النظر للصراع من حيث هو حوار متبادل صعب، قد يكون بين الانسان وذاته أو بينه والآخرين أو بين تنظيمه او جماعته والآخرين فهذا شأن آخر وفهم مختلف.

قد ينظر البعض للصراع بمخرجاته أنها كلها سلبية أو عدائية من حيث أنها لا تقبل ألا فوز أحد الطرفين.

بينما بالرأي الآخر فإن للصراع -بغض النظر عن شدته- له من الفوائد ما يجعل الفكر يتحرك وما يجعل العقل تدور عجلته، وما يجعل الفرد في حالة مستمرة من التشكك الى أن يأتي اليقين ثم التشكك فالتفكير والتأمل ثم اليقين في متوالية حوارية صراعية لا تتوقف.

إن الصراع بمنطق تقليب الأمر على كافة جوانبه وتبني الفكرة ونقيضها وإعمال العقل فيما بين الأفكار حتى المتناقضة هو صراع إيجابي، قد يقترب في مفهومنا من لغة الحوار الذاتي والجماعي، بمعنى الاعتراف بالآخر المخالف، وإتاحة المساحة المشتركة وتداول الرأي والالتزام.

نحن في سياق فهمنا هنا لا نفترض أن الصراع ينحصر بمفهوم الاستعداء أونفي الآخر كليا، أوتدميره إما أنا وإما هو، وغن وجد مثل هذا التعريف للصراع فنحن نعده اكثر أشكالها حدة بينما درجاته الأخرى هي الغالبة على المسار العقلي والاتصالي بين الناس بحيث نعرفه بأنه يمثل ععملية حوار شديدة الوطاة على العقل لكنها دائمة ومتصلة وملزمة ومتوالية لاستخراج الخيارات كلها.

الصراع القريب

ما بين خوض الصراع القريب والصراع البعيد مسافة، لابد أن تبدأ من المنطقي وهو القريب ولكن كثير من الناس من يستسهل ذاك البعيد ويستصعب القريب، فالقريب صراع في النفس في الذات في الشخصية ولهذا الصراع أدوات تحتاج لدأب ومثابرة، كما تحتاج لتحريك الفكرة باتجاه التنفيذ عبر مركب الإرادة والتي ما هي الا ناقل الحركة من سرعة الى سرعة وبدونه يظل المسار الداخلي بطيء الايقاع ولا يحدث نتيجة عدم التسارع أي تغيير.
إن الصراع القريب هو الصراع الحميم في نفس الوقت، وهو الصراع الذي أخوضه يوميا مع نفسي بالحوار/الصراع الداخلي الذاتي لتثبيت مجموعة من القيم والمفاهيم والتوجهات في نفسي، فلكي أكون صادقا مع نفسي وأمام الآخرين لا يكفي التعبير عن ذلك لفظًا، ولكي أدعو الناس للصبر فلا يجب أن أكون ملولا، وعندما يكون المحيط قابلا للانفجار أكون قد راكمت عناصر التحليل مسبقا لآلية ردّات الفعل.

الصراع القريب هو صراع النفس الإنسانية، وحوارها الصعب الذي حضّت عليه الديانات عامة، بواقع التأمل والتفكر وجهاد النفس، كما حضّ عليه القرآن الكريم الذي جعل للنفس درجات من الأمارة بالسوء، والموسوسة، والمطمئنة واللوّامة والراضية المرضية، وجعل لكل درجة عناصر قوتها وضعفها ومسارها الذي يجب أن تسير عليه.
إن النفس هي حقيقة الشيء وعينه وجوهره كما ورد في تاج العروس، وفيها الوساوس والظنون والخلجات وما يتحدث به الانسان عن نفسه وغيره، وظنونه وأفكاره ومواقفه وضميره.

والنفس هي بؤرة الصراع/الحوار الداخلي القريب بين قوى الخير والشر، بين الايجابية والسلبية بين العبوس والابتسام...، و لها صفات وخصائص كثيرة؛ منها: القدرة على إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما، والقدرة على التحريك والتغيير. لذا فإن البدء من حيث ما أملك أجدر أن تتم العناية به من البعيد الذي قد يكون صديقك أوشريكك أو أخيك، أو قد يكون القضية التي تحملها وتصارع في داخل التنظيم أو المؤسسة لتمثلها والدعوة لها أو لإحداث التغيير فيها.

الثائر والمجاهد، والانسان الحقيقي من يبدأ بنفسه، فيعمل جاهدا على تنقيتها، وعلى اتساع عناصرها ويعمل على تحويل المركّبات السيئة النشِطة فيها الى مركبات إيجابية، وهو الذي يتهم نفسه أولا بالنظر والحوارالداخلي والتساؤل ومحاسبة ونقد الذات قبل أن يوجه أصبع الاتهام للآخرين أو قبل أن يقوم بتمزيق الآخرين بقنابل السخرية والشتائم والتجريح والاتهام.

الثائر والانسان الواعي والمجاهد الحقيقي من يركّز على العمل، وعلى الموقف وعلى النتيجة، وهو من يوجّه نقده للعمل والموقف والنتيجة، فيعيد تركيب مكونات القوة فيه وإن كان من انحدار أو مخالفة من الآخرين في أي منها يقوم بنقده وفق مقتضيات الحوارالعام وآداب الحديث مع الأخرين وبما لا يضر بمنطق الاحتفاظ بالعناصر الإيجابية ضمن الدائرة المحيطة بالذات.

الحوار الذاتي.

يخوض الانسان يوميا حوارًا صعبا مع ذاته، فقد يبدأ من فكرة المظلمة والعجز أو اللوم والتقريع، أو التذكير بالعجز أو البكاء على الذات أو الأسهل من كل ذلك الاتجاه للوم الأخرين على كل ما يحصل له فهو بائس بسبب الآخرين! وهو لم يحقق آحلامه بسبب الآخرين وهو في حالة منحطة من المشاعر أو البؤس للمؤامرة أو الموانع التي وضعها الآخرون في طريقه! وكأن كل أمنياته قابلة للتحقيق لولا الأعداء المتربصون به من كل جانب.
في هذا الحوار وأمثاله من الحوارات الذاتية الصراعية القريبة قد تُشل الحركة، وتُطفئ شعلة التفكير المنتج وتسبب صدمة لحامله وتعرقل أي خطوة قد يتخذها الشخص الى الامام أو ترفض أي يد تمتد لتقديم العون.

إن الانتقال من الحالة النفسية الانهزامية والحالة النفسية المثبطة والحالة النفسية المحطمة أوالسلبية الى تلك الايجابية لها من المفاتيح ما يملكه الانسان العادي والانسان الثائر المناضل في يده، ولكنه كثيرا ما ينظر للبعيد ولا يستطيع أو لا يريد أن ينظر لما هو تحت أنفه!
في الحوار الداخلي اليومي نستطيع أن ننمّي علاقاتنا مع أنفسنا ونستطيع الانتقال من حالة القتامة الى حالة الإشراق وفق مجموعة من الافكار التي نرى منها التالي:

1- الابتعاد عن التعميم: فليس كل حالة سلبية مرت بي أو بغيري، أوبمسار القضية أو الثورة المؤثرة بي تقتضي أن تُعمم على المجموع،

وليس كل حالة خاصة يصح أن تكون مقياسا لكل شيء، فتغيير زاوية النظر وعدم التمسك بها بنفس طريقة التفكير الاولى قد يزحزح فكرة التعميم عن موقعها الحصين وهي التي ترتبط باستعمال كلمات مثل (دائما، أبدا، كل شيء)

2-القياس بناء على تجربة واحدة: فحين نفشل لمرة مع أنفسنا-داخل المؤسسة،في التنظيم السياسي،مع صديق...-قد تتحول مركبات الفشل الى كابح للتقدم فتخور القوى وتضعف الإرادة ما يقتضي للخروج من الحالة حُسن الإعداد والتمرين المسبق والتجهيز والتخطيط وليس التراخي والانسحاب.

3-أبدا يومك بابتسامة: وبشكل إيجابي وبجدول أعمال منظّم مسبقا تعرف نتيجته ما يضفي على يومك الحُبور.

4-الانتقال من الأسف والبكاء على الذات (والحال والأحوال) الى النظر من منظار البسمة والتفاؤل: فليس كل مصيبة أو محزنة أو شر (خاص أو عام) يقع به الانسان-أو المجتمع أو التنظيم وينعكس عليّ- ثم يلحقه آخر بعد فترة مثلا بمقياس ثابت، الا ما تم التركيز عليه وإبعاد العناصر الايجابية الأخرى حيث أن ذاكرة الانسان انتقائية قد تنتقي فقط ما هو سلبي! وإن كان متباعدا وتضعه كله في سلة واحدة، فتصبح الحياة محطّمة لا تستحق العمل لتطويرها، بينما تقوم بإزاحة كل العوامل الايجابية بعيدا فلا تنظر لها، وهنا يجب الموازنة بين الحالتين أو التوقف عن مراكمة السلبيات فقط وتضخيمها بسؤال النفس ما الذي يجعلني محبوبا أو ناجحا او مؤثرا في المحيط أو سعيدا بدل الأسئلة

السلبية المعاكسة، ولنتقبّل الثناء والشكر والتعليق الايجابي ونراكمه ونرصّده.

5-عدم الاغراق في العواطف الجياشة: من سوء تقدير النفس، أواستعذاب البكاء عليها، من مثل تكرار ذاتي بالقول (أنا بلافائدة، لذا أنا فاشل) (الكل يحتقرني او يكرهني) أو أنا لست مهما أو لست مؤثرا في مسار العمل، ولكن الحقيقة تكمن بالنظر من زاوية أخرى أو بالاستعانة بصديق. ومثل هذا الشخص يسمى في إطار الفكر الثوري النمط التطهري أي سريع التأثر بالمواقف خاصة السلبية، فينكفئ وينعزل وينسحب ما يتيح للشخصية الانتهازية أن تتقدم.
6-التشخيص أو التحليل الصحيح: لأي أمر من الأمور. في الحوار الذاتي يجب أن يأخذ جميع العوامل بالاعتبار تلك الداخلية والمجاورة والخارجية ويوازن بينها فلا يركز على عامل واحد ويفترض به الدليل القاطع في كل الأحوال، فلكل موقف أو مشهد أو تصرف مفاعيله، لذا من المهم حين التفكير أو الحوار عزل الحدث عن المشاعر التي ارتبطت به لمعرفة طبيعة الحدث والشعور وأين انا منهما. وبالتركيز على ما يمكنني تغييره وليس على فكرة اللوم والاتهام ما لا طاقة لي به أو بتغييره.

7-امتلاك منهج تحليلي فكري معرفي: لمعرفة الأسباب، وهو من أهم ما قد تمتلكه النفس من أساليب تستطيع بها أن تغادر مربع السلبية القاتل الى مربع الايجابية فالأول يرتبط بالنقد الميئس والثاني يرتبط بما يمكنني عمله.

8-اختيار الكلمات الصحيحة وتصنيفها: واستبعاد المعوجّة، وهي من أهم الامور فاستخدام الكلمات الصلبة او النافرة (والمنفّرة) مدعاة للحزن واليأس والسلبية، مثل: هم يكرهوني، أو هم سيئون دومًا، والتي بدلا منها يتم التساؤل لم يختلفون معي؟ وبدلا من وصم الآخرين بالحقد أوالتفاهة لمن أنا أخالفهم! وغيرها من الكلمات التي معها يجب تغيير القاموس الداخلي مرتبطا بالابتسامة الحقيقة الداخلية. لذا علينا اختيار الكلمات الايجابية والمناسبة في حواراتنا مع الآخرين وفي حواراتنا مع أنفسنا فيصبح المضمون والقالب واحدا.

9-بدلا من التشخيص السلبي انتقل للسؤال والجواب: فبدلا من إغراق الذات بتحليلات منهارة ابدأ بطرح الأسئلة وأبحث عن أجوبة متنوعة وأقارنها لنخرج من فكرة اللوم والاتهام الى فكرة الاستنتاج والتخطيط للأفضل، بل واللجوء للإيحاء الذاتي فأنا أستطيع وأنا قادر وأنا واثق من تقدمي وإمساكي بزمام الامر.

10-"أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا": أفلا اكون ممتنا لأنعم الله علي بشكل دائم؟! أفلا أقتدي بالمسيح عليه السلام الذي رأي البياض وأشاد به في كومة السواد، وألا اكون مثل الرسول ﷴ عليه السلام الذي رغم المغفرة التامة له من الله يجهد نفسه بالتقرب اليه وليرد على من سأله قائلا «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا». والشكر والامتنان قد يبدا بقول شكرا لمن يفعل أي شيء لك ويستمر مفعول الامتنان مع كل نسمة هواء تتنفسها الى الطبيعة وأنعم الله عليك التي لا تحصى ما يجعل الامتنان الدائم رسالة تفاؤل لاتنقطع ترى الجمال في كل شيء.

11-الثائر أو المناضل أو المجاهد في ذاته وغيره يحتاج ليحمل عبء الأمانة على كتفيه أن يكون مؤهلا نفسيا للدعوة او الاستقطاب او جذب الأخرين، وكلما كان نقي النفس ثابت الحال هاديء النظرة قوي الإرادة قدوة في مسلكه من قول وفعل كلما كان عبء الامانة مما تستحقه أكتافه.

الوسطية المتهمة في النضال!

قلنا فيما سبق أنه: في الحوار الداخلي اليومي نستطيع أن ننمّي علاقاتنا مع أنفسنا ونستطيع الانتقال من حالة القتامة الى حالة الإشراق وفق مجموعة من الافكار لذا لن نتموضع بين قتامة النظرة الاقصائية التعميمية ولنفهم النضال الحالي في منظور يرتبط بالسؤال والجواب كما بالنقطة 9 فيما سبق.

من أهم مشاكل التيار العام في الثورة الفلسطينية في تاريخه الطويل هي مواقفه المرنة في كثير من الاوقات وعديد الأمور، والتي تصب في سِمته الغالبة ممثلة بوسطيته واعتداله.

ومن أبرز مشاكل هذا التيار، وهو التيار الوطني مشكلة التموضع بين الأطراف المتقاتلة أوالمتصارعة سواء في المساحات الجغرافية أوالسياسية، أو حتى في مساحات الأهواء الشخصية للسلاطين أو أمراء الحروب، لذلك أقرّ هذا التيار منذ البداية وعلى رأسه حركة فتح

التمسك بمحور الاعتدال الصعب والوسطية المتهمة، وبعدم الرغبة بالتدخل في شؤون الدول العربية، أوغير العربية.

في مرحلة الكتلتين (الشرقية والغربية) وقفت كوادر التيار الوطني بقوة ضد تصنيف ما كان يسمى دول الاعتدال العربي بالخيانة والرجعية والاستسلام، فاتهمت هي نفسها بالخيانة والرجعية واليمينية والاستسلام. (حسب مصطلحات اليسار)، وبالنفاق والكفر والعلمانية (بمعنى اللادينية) حسب مصطلحات الاسلامويين.

وبعد أن انكسر المحور الشرقي (بانهيار الاتحاد السوفيتي-روسيا) وتم ابتلاع العالم بفم الغول الاستعماري الامريكي، ظل التيار الوطني الواسع ممثلا بغالب منظمات منظمة التحرير الفلسطينية اليوم على ذات المسافة من مواقف الدول العربية المختلفة، والى ذلك ظلت قياداته تُتهم بوسطيتها واعتدالها، من هذا المحور وذاك في العالم العربي والمنطقة.

الوسطية والاعتدال لا تعني عدم وجود صلابة أو مبدئية في الموقف، بل على العكس يأتي ذلك في نطاق الصلابة التي هي بتكريس أولوية ومركزية وأساسية القضية الأولى أي قضية فلسطين، ما هي بالنسبة لكثير من أنصار اليسار فقرة في كتابها الأممي الاشتراكي، وما هي بالنسبة لليمين (الاسلاموي) في مسارها الأممي الاسلاموي مجرد مسواك كما قال محمود الزهار.

إذن الصلابة المبدأية حول الفكرة الرئيسة، والقضية الأساس تستوجب الوسطية الواعية والاعتدال بمنطق تحقيق ما يخدم القضية الرئيسية

بأن تتخذ المواقف الوازنة التي تحقق الالتفاف حول قضيتك وبأن تأخذ من جميع الأطراف ما يصب في خدمة الهدف الرئيس، وأن تعمل على تكثيف المكاسب، وتكثير معكسر الأصدقاء، وتقليص المخاسر ما بين الأطراف المتصارعة، وما اكثرها في عالمنا العربي.

لذا تظل وسطية النضال في الإطار الفلسطيني مطلوبة لغرض تنحية الثانوي عن التأثير في الأساسي الذي هو استمرار جعل فلسطين قضية العرب المركزية دون الالتفات للصارخين في وديان غيرهم ممن يستثيرون الغبار حولنا فننشغل بقضايا جانبية عن القضية المركزية.

فما أصعب أن تقف وسطا بين المتصارعين في أمتنا وميداننا الحضاري، في إطار التمسك بمثلث (الصلابة والوسطية والحضارية) وبالتمحور حول أولوية فلسطين، ما أصعب ذلك لأنك بهذا الاعتدال وهذه الوسطية تظل متهما!

ويا لها من تهمة جليلة عندما نحمل فلسطين فقط بين جوانحنا.

الفصل الثالث:

بين النظرية والتطبيق

بين النظرية والتطبيق

لا بأس أن نعود مرة ثانية لنتعرض للفكرة والتفكير بتوسع اكثر مما أشرنا له سابقا لنقول إن **التفكير** مجهود عقلي يقوم به الإنسان لتقليب أو تحقيق فكرة، والفكرة الناتجة أو القائمة ليس منبتّة عن غيرها وإنما مرتبطة بأفكار أولية هي بذرة الأفكار، أوهي الأفكار الأولية التي تخوض في العقل صراعها مع مستجدات الأفكار، الأفكار القادمة الطارئة، فتنتزع فكرة أخرى، وحيث لا فكرة من العدم فإن وجود البذرة الأساسية هو مع التكوين الشخصي.

التفكير والتعامل مع الفكرة؟

يقول بعض المفكرين أن: عملية التفكير عملية مستمرة في الدماغ لا تتوقف أو تنتهي طالما أن الفرد في حالة يقظة أو حتى كان مسترخياً إلا أن دماغه في حالة نشاط و عمل دائم فهذا النشاط الدائم يسمى بالتفكير.

بينما موسوعة علم النفس تقول أن التفكير: (كل نشاط ذهني أو عقلي يختلف عن الإحساس، و الإدراك الحسي أو يتجاوز الاثنين إلى الأفكار المجردة).

ويراها أخرون: (كل سيل أو مجرى من الأفكار تبعثه و تثيره مشكلة أومسألة قيد الحل، مثلما يشير للنظر إلى الأمور، و تقليبها و تفحصها بقصد التحقق من صحتها أو ضبطها).

فالتفكير سيل أو توارد غير منتظم أحيانا من الأفكار والصور والذكريات والانطباعات العالقة في الذهن. وهو خريطة الذهن لحل المشكلة.

وكما تقول الموسوعة أن التفكير هو: العملية التى ينظم بها العقل خبراته بطريقة جديدة لحل مشكلة معينة، بحيث تشتمل هذه العملية على إدراك علاقات جديدة بين الموضوعات أو العناصر فى الموقف المراد حلّه ، مثل إدراك العلاقة بين المقدمات والنتائج ، وإدراك العلاقة بين السبب والنتيجة ، وبين العام والخاص ، وبين شيء معلوم وآخر مجهول. أما معناه الخاص فيقتصر على حل المشكلات حلا ذهنيًا عن طريق الرموز، أي حل المشكلات بالذهن لا بالفعل، وعرف أيضا أنه : القدرة على التحليل والنقد والتوصل إلى نتائج تستند إلى استنباط أو استدلال سليم وحكم سديد . ويرى البعض أن التفكير بأنه مجموعة العمليات أو المهارات العقلية التى يستخدمها الفرد عند البحث عن إجابة لسؤال أو حل لمشكلة أو بناء معنى أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة له من قبل وهذه العمليات أو المهارات قابلة للتعلم من خلال معالجة تعليمية معينة .

في جميع الأحوال فالتفكير جهد عقلي والتفكير نشاط مستمر، والتفكير يقود من ألى، عبر التقليب أو الصراع والانتزاع أوالحوار الذاتي للوصول لفكرة محققة أو مختلفة.

وهذه العملية تعد من القدرات العقلية أو المهارات[1] لدى كل إنسان وهي قابلة للتنمية كما هي قابلة للتدريب عليها وتقويتها كما الحال مع كل القدرات التي بالتدريب عليها تصبح مهارة محترمة الى جانب قدرات التخيل والتذكر في العقل.

الفكرة من حيث تنشأ في العقل، نتيجة التفكير، إما نتقبلها إستنادًا الى معطيات ما، أو لربما نرفضها أو نقلّبها، وفي الحالة الأولى أي حالة التقبل والقبول للفكرة فإننا قد نُدخلها في باب التقبل الجزئي لذا فنحن نشكك بها،ونتفحصها ثم نقبل أو نرفض. بمعنى أن القبول قد يكون جزئيا أو كليا.

أما في حالة الرفض فالأسباب عديدة لضعف الفكرة أعدم اكتمالها أوعدم صلتها، وفيما بين القبول والرفض نقع في المرحلة الوسيطة دوما ما بين التشكك الطويل وما بين الصراع بين مجمل المعطيات والحوار بين الأفكار القديمة أو الشبيهة أوالمتناقضة، بمعنى أن الصراع داخل العقل يتخذ مساره في حالة التقليب للفكرة بمنطق

---

[1] يمكن تتبع الكثير من البرامج والدورات والكتب المتخصصة بتنمية مهارات التفكير المتعددة. من مثل مهارات التفكير العلمي والتفكير الناقد والتفكير الإبداعي. وهناك تصنيف آخر لمهارات التفكير مثل: التفكير الحسي والتجريدي والحدسي والناقد والخيالي والمنطقي والفلسفي والعلمي والإبداعي والخرافي و(التفكير في التفكير) وفق ما يورد د.مصطفى النشار ود.حسني الهاشمي في كتابهما المعنون: التفكير العلمي وتنمية البشر ص27-30، مضيفين ضرورة تعلم: مهارات: التركيب والتحليل والتشخيص والتفسير والمقارنة والتصنيف والملاحظة. ويتوضح في سياق الكتاب أن التفكير والشعور والرغبة تعد من وظائف العقل الأساسية.

الصراع بين المتضادات أو بمنطق الحوار للوصول للأفضل وبذلك يكون تقليب الفكرة قدرة على دراستها من عديد زوايا النظر أو بإضفاء ألوان جديدة عليها.

الحقيقة والمطلق

الفكرة قد تكون صالحة وقد تكون غير صالحة، وقد تكون صحيحة أوغير صحيحة، وقد تكون ايجابية أو سلبية. وتصنيف الفكرة بين الصلاح من عدمه أو غير ذلك يعتمد على المقياس المستخدم أو على القيم الحاكمة كما يعتمد على زاوية النظر للشخص حسب قيمه أو مبادئه هو إذن من الصعب أن تكون الفكرة صالحة لذاتها مالم تستند للقيم أو للتطبيق.

هناك مبحث طويل يناقش بين الفكرة المطلقة والفكرة النسبية والفكرة المطلقة من حيث قدرتها على تفسير نفسها بنفسها، أو من حيث اكتفائها بذاتها عن غيرها ومن حيث أن هي مرجعية لمعتنقها، ولنا فيما قاله هيغل أو ماركس أو تقي الدين النبهاني حول الأمر الكثير.

أن العقائد لدى المؤمنين مطلقة، وأن تكون هناك مرجعية صلبة هذا جيد بل وضروري، لكن في المقابل -وهنا قد تكمن المشكلة- فأن مفهوم المطلق المكتفي بذاته أو غير القابل للمس أو الذي يمثل الحقيقة أو الصحيح الذي لا شك به حسب مفهومهم قد يتوسع ليشمل الأفكار الناشئة عنها، وقد يشمل التنظيم الذي يدعي تمثيل الدين أو العقيدة (المطلق/أو الحقيقة الكاملة) وكما هو الأمر عندما يتم إسقاط الحقيقة هذه على الشخوص فتتطابق الحكمة والمطلق والحقيقة للفكرة مع

الأشخاص فيصبحون غير قابلين للمسّ وهذا هو الفكر المنحرف والمتطرف تماما.

عندما يتم الكتابة في معرِض الأفكار والمبادئ والمفاهيم والقيم تعترضك التساؤلات المحقة أحيانا عن مجال التطبيق في مدى الفكرة، أو إمكانية التنفيذ في ظل المفهوم، أو العلاقة بين النظرية والتطبيق؟

فمنهم من ينشط فيسعى للفهم ثم للربط بين المكونين (النظرية والتطبيق) عبر الدعوة والتبشير والاستقطاب فالتغيير بدءًا من الأقرب (أنا) من خلال التبني والتطبيق، وصولًا الى الأبعد(الآخر)

ومنهم من يتخفّف من الأحمال، والأعباء فلا يشمل ذاته، و يعمل على نقد النظرية لمجرد أن الواقع -كما يراهُ حقيقةً أو انعكاسا لذاته-لا يتقبلها أو يرفضها أو لا يطبقها؟

إن العلاقة بينهما وثيقة (بين النظرية والتطبيق) إلى الدرجة التي لا يكون فيها للثانية من حياة إلا بالاولى، ورغم قدرة الأولى على العيش بدون الثانية، متخفية أو ظاهرة، الا أن الأكتاف المتينة هي ما تحتاجه النظرية لتحملها وتنقلها وتتمثلها فتعكسها في الذات، وفي واقع الناس والأمة.

تُواجَه بالفاشلين والمنهزمين والانتهازيين الذين يعكسون درجات فشلهم وخيباتهم على الآخرين، الى الدرجة التي يجعلون فيها من يريد أن

يفهم ويتثقف ويسعى ولو حَبْوًا لتطوير ذاته وتغيير نفسه وتمتين فكره وتطوير شخصيته ثم الآخرين، وكأن ذلك من رابع المستحيلات.

وقد تواجه بمَن لا يقرأون أو لا يفكرون أصلًا، فيحكمون على الفكرة من العنوان، وإن قرأوا يتخذون الموقف أثناء القفزالعريض بين الجُمَل والكلمات فينفِرون مما لا يهضمونه، ويتطيّرون مما يخالف أفهامهم المحدودة، فينكمشون أو يلقون بوجهك بشتى التهم، وبحجارة الإحباط والسلبية التي ما هي الا انعكاس لشخصياتهم الهزيلة.

تجد بين الرافضين للفكرة، لأي فكرة مختلفة أو فكرة تطويرية أو فكرة جديدة (نظرية) مُعادين أبديين، ذوي نظرة جاهزة مُسبقة يحملون ضمنها عقلية جامدة وقوالب مصبوبة! فهذا كلام فارغ وهذا كلام إنشائي وهذا حرام وهذا مما لافائدة منه، وما هذا الا تزجية للوقت؟

من هؤلا المنغلقين عقليًا من لايميّز بين المفاهيم من مثل ذاك التائه بين الأسلوب الانشائي الوصفي وبين التحليل النظري المنهجي فيفترضون أن الشعر تحليل، وأن القصة في موضع الحكمة إنشاء كما يتوهون بين عمق التحليل والأمثولة والمقاصد، ولكنهم بدل أن يصمتوا يثرثرون بما لا يفقهون.

التفكير التحليلي أو النظري بكافة أشكاله هو ما لاغنى عنه في صناعة الأفكار ووضع المناهج، ورسم المبادئ، وبناء القيم في موضعها الصحيح.

إن الدعوة والرِسالية والمنهج الذي يبنيه الإنسان في ذاته، ويبنيه التنظيم السياسي (أو الثقافي أو الاجتماعي) في أعضائه له من الغايات ثلاث؛

الأولى: أن يطبقه الشخص في ذاته، ولو تهاون الآخرون فهذا واجبه نحو نفسه.

وثانيا: أن يطبّقه التنظيم (أو الجماعة) نحو أعضائه في أي حلقة من الحلقات حتى لوتهاونت الحلقات الأخرى، أو سلسلة القيادة.

وثالثا: هو ما يتوجب دعوة الجماهير له فرديًا أو جماعيا ضمن أي تموضع يكون فيه الإنسان ضمن عقلية الواجب الشخصي والوطني والاستخلاف الرباني في الأرض.

إن المفاهيم والأفكار والقيم بناء نظري يتحقق قطعًا بالتطبيق العملي، ولا يعني قلّة المتبنين للفكرة الصحيحة أنهم منعزلون أو أنه لا يجب اتباع فكرتهم لقلة المنخرطين.

فكما يقول الفضيل بن عيّاض: (عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين،وإياك وطريق الباطل ولا تغترّ بكثرة الهالكين).[2]

[2] وتذكر المقولة أيضا بصيغة: "عليك بطرق الهدى ولا يضرك قلَّة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين"، والفضيل بن عياض الخراساني، أحد أعلام أهل السنة في القرن الثاني الهجري، لقب بـ "عابد الحرمين، وهو من الزُهّاد. وهناك من ينسب هذه المقولة الى لإبن القيم، كما تُنسب لعلي بن ابي طالب

إن المفاهيم والأفكار والقيم بناء نظري يتحقق قطعًا بالتطبيق العملي، ولا يعني عدم التطبيق العملي أن يتم التخلي عن البناء النظري، وإلا لكان تدريس الدين (البناء النظري) لاقيمة له عندما نرى أو تقارنه بحال الأمة المتردي اليوم.

وحين لا يتم قبول النظرية إلا في ظل رؤية التطبيق! تسقط مهمة التفكّر والنظر والإيمان، وتسقط مهام التثقيف والغرس والدرس والدعوة! وتصبح مبادئ وقيم الصدق والأمانة والحب والثقة والصبروالنظافة والنظام، وبناء العلاقات الصحيحة والتخطيط والتنظيم والمتابعة والفهم...الخ، غير ذات قيمة ما دام المجتمع أوالنظام أوالتنظيم أو الجماعة أو جزء منها لايطبقها!

حين نشترط في المحيط حولنا، أو المجتمع أن يكون مطبِقًا لما ندرس أو نتثقف فيه (النظري) وإلا فلا! نكون بهذا الفهم القاصر قد تخلّينا عن دورنا الطليعي نحن وهو الدورالمتحقق عبر قيامنا (العملي) بمهمة الدعوة وتثقيف الذات والمجتمع بالفكر والمبادئ والقيم.

حين نربطُ بين تطابق الواقع السئ والبناء الفوقي (الفكرة)، فلا نتقبل الفكرة لانعدامها بالواقع؟ نتحول لمقلّدين فقط، وتصبح مهمة المدرس أومهمة الأب والأم، أو دور أستاذ الجامعة لاقيمة لها! الا إن كان كل الطلاب في إطار تطبيقهم العملي لما درسوه منفذين فاعلين؟ وتصبح مهمة التغيير للواقع الذاتي أو الجماعي مهمّة أو عملًا لاصِلة لنابه، وهو من غرائب التفكير!

إن أهمية البناء الفوقي (النظري والفكري العقلي والثقافي) بأهمية البناء التحتي في أطر الحضارة ممثلا بالعمران والصناعة والمؤسسة

والبناء، فمتى انقطع النظري (الفهم والعلم وإعمال العقل والنظرية) فإن التطبيق سينحسر بتكرارغريزي لما كان سائدا. لنشهد العالم يتقدم ونحن نكرر فشلنا ونكرر إخفاقاتنا.

يقول محمود سامي البارودي:
لو كان للمرء عقلٌ يستضيء به/ في ظلمة الشك لم تعلق به النُّوَبُ (المصائب)
ولو تبين ما في الغيب من حدث/ لكان يعلــم ما يــأتي ويجــتنب
لكنه غــرض للــدهر يرشقه /بأسهم مالها ريــش ولا عــقب.

الشخص الذي يستطيع تقصير فترة التمثّل (الدرس والفهم والاستيعاب) فيحوّل الفكرة أوالنظرية الى تطبيق ينجح، ويتطور، ويغيّر، والجماعة أو التنظيم الذي يستطيع تحويل أفكاره وقيمه ومنهجه الى تطبيق ينجح وينتصر.

إن الفهم القاصر القائل: أن لافائدة من الفلسفة والأفكار (النظري) في عالم الصناعة أوالزراعة أوالتنظيم أوالمؤسسات أو الاقتصاد (العملي) هو فهم عقيم، وكأن أي من تلك التطبيقات العملية تأتي من فراغ عقلي؟! وما هذا الامر بالجوهر والواقع إلا تراكم نظري معرفي لابد منه ليتحول بالتبني والجهد والممارسة الى تطبيق عملي.

بين النظرية والتطبيق والدائرة (كيف نتعلم؟)

لم نتعلم بسهولة أبدا بل تعلمنا بمشقة شديدة، حيث كنا نذهب لمناهل العلم لنقرأ ونسمع، فلم نترك مفكرا اوكاتبا او كتابا اعتقدنا أن به من العلم ما يفيدنا الا طرقنا بابه او صفحاته.

لم نتعلم بسهولة والى ذلك تعلمنا وما زلنا نتعلم، ومن ظن انه قد علم فلقد جهل. تعلمنا أن لا نحكم على المكتوب من عنوانه نعم، وبالبصيرة ورغم الاستدلال عن المكنون من المظنون، ومن الجوهر عبر الشكل الا أن الغوص في مضامين الكلمات والعبارات وسياق الفقرات هو في حقيقته ما تعلمناه فلم نطلق الأحكام جزافا ولم نتسرع فندين أو نلفظ اونقبل أونرفض، تعلمنا.

التعلم والعلاقات المعوجة

تعلمنا أن ندرك جيدا وان نفهم جيدا، وأن نتعاون على الفهم جيدا، وكثير من آداب التعلم التي كانت شذرات التقطناها من معلمينا الكبار أكانوا أشخاصا أم كتبا ام خبرات وتجارب لنا او لغيرنا، والحصيف من يتعلم من تجارب غيره.

تعلمنا ألا نتسرع، وأن نتريث رغم أن الكثير من الأمور قد لا تحتاج لكثير تفكر أو تريث لاتخاذ موقف، إثر كثير بحث وتجارب طويلة وخبرات، وإثر استقرار مرجعيتها وإثر إدراك واعي من مثل أن يكون لك رأي أو مبدأ ثابت بالكيان الصهيوني أنه كيان هيمنة استعمارية على

المنطقة، فكيف بك أن تفهم في ظل القناعة المبنية على تحليل عميق ومتواصل كيف لك أن تفهم أنه يمد يده الى السودان أو دول الخليج أوالمغرب لخير هذه البلدان وخير "أسرائيل" ؟إن هذا المنطق لا يتفق إطلاقا مع التحليل السليم والمتريث، فما بني على باطل فهو باطل.

وكيف لك أن تفهم طبيعة العلاقة الأمنية المعوجه مع كيانات عربية أنها لمصلحة الامة العربية؟ أو حتى لمصلحة هذه الدول التي سرعان ما سيتم ابتزازها وتفتيتها والهيمنة فيها وعليها! كيف ذلك ووجود الكيان بذاته هو أساسا لتفتيت وشرذمة ولتدمير هذه الأمة وسلبها إرادتها، والهيمنة على اقتصادياتها وتحطيمها؟فكيف لي أن أتعامل مع من يسعي لتحطيمي يوميا، وافترض أن أمامنا عدوآخر مشترك؟

اتفاقيات الضرورة الكونية والتعلم

اتفاقيات الضرورة الكونية تأتي حين تتكالب عليك الأمم لتنتج سياقا خارجا عن النص التاريخي اسمه "اتفاقيات اوسلو"، وحين يَعرُج الفلسطيني على رجل واحدة ليمر من خلال النفق مجبرا وصولا لقيام الدولة وفق النقاط الخمسة الممثلة للمرحلة النهائية عام 1999 ينكشف الوجه الصهيوني المعادي، رغم الاتفاقيات المرعية دوليا، ويتكشف بالتجرية العملية أمام الفلسطيني ومن ورائه العربي بالتجربة أن هذا العدو لا يقبل من الآخر "الغوييم" الا الدونية والدنية والعبودية، والتسلط عليه فلا يقبل الندية والمساواة أبدا، وكيف لذلك ألا يكون وتعملق فكرة اليهودية الإقصائية العنصرية في فكر اليمين الإسرائيلي؟

تعلمنا من "أوسلو" وما قبلها وكثيرا بعدها إن فكر التطرف والإقصاء والتهجير والاحتلال والإحلال والقوة القاهرة المهيمنة في المجتمع

الاسرائيلي اليوم والتي تشكل مضمون العقيدة (اليهودية اليمينية العنصرية) ومضمون الصهيونية لا يمكن أن تتحلل من ذاتها، الا بانقلاب فكري ثقافي ومجتمعي وعسكري يؤدي لقبولهم بنا نحن المواطنين السكان الأصليين لهذه البلاد نحن الفلسطينيين، دون خرافات اليمين والصهيونية التاريخية التوراتية التي لا قيمة لها بالقانون الدولي ولا عند المؤرخين والعلماء ولا عند ذوي اللب واليقين، وهذا ما لا نراه قريبا مطلقا.

نتعلم ولكننا نُشده

تعلمنا الكثير ونتعلم ولكننا في سياق التعلم كثيرا ما نقف مشدوهين أمام من يظنون بأنفسهم قادة رأي او قادة الاتجاهات (trend) بالمجتمع! فيفصّلون الأفكار على مقاييس أمزجتهم أو أمزجة حكامهم، وليس على مقاييس ومناهج التفكير السليمة، فيتوهون هم، ويتوّهون معهم جزء من الامة أو الشارع العريض.

لقد هالني أن العديد من هؤلاء الكُتّاب أو المفكرين أو المثقفين أو الساسة العرب لم يتعلموا الا القليل! فهم والمزاج يحركهم،والنظرة المتعجلة غير المتريثة، والهوى والمصالح ينظّرون للقضايا المصيرية ليس بعمق وجودها وثقل تبعاتها، وخلود عناصرها الاولية، وانما بخفة الناظر الى سوق السمك ليميز بين السمك النيء وذاك البائت!

وما كانت القضايا السياسية خاصة الثقيلة حضاريا كقضية فلسطين بهذه الخفة التي استدعت من مجموعة كُتّاب عرب أن يطلبوا من الفلسطينيين التريث! رغم أن التجربة خير برهان! طلبوا التريث وعدم رفض خطة نتنياهو-ترامب التصفوية حتى بعد صدورها مغلّفة بحبال الكفر والمؤامرة الجلية من أول كلمة الى الخريطة الفاقعة، الى

مضامينها التوراتية المشبعة برفض السياق التاريخي العربي لهذه الأرض مع ما تتضمنه من إهانة لا نظير لها للاسلام عبر تقسيم الأقصى وغيرها من النقاط المثيرة للقرف والاشمئزاز لأي انسان حر.

يقولون!

يقول أحد هؤلاء الكتاب بعد10 أيام عن اعلان ترامب لرؤيته العنصرية التدميرية (أعلنت في 2020/1/28): "ما نراه صحيحاً تجاه هذه المبادرة هو التريث قبل الحكم النهائي عليها بالرفض التام أوالقبول المؤدي إلى التفاوض المفيد والحاسم"؟!

في المقابل يقول الكاتب العراقي د.سعد ناجي جواد: "ان كل ما يجري الان هو ليس فقط محاولة لتهميش او محو القضية الفلسطينية من الساحة والاهتمام الدوليين بالكامل، وإنما ايضا لمحوها من الذاكرة العربية تماما. الا ان هذا الحلم على الرغم من التشرذم العربي واصطفاف أنظمة عربية معه، سرا او عَلناً، خوفا او رغبة بالانصياع للأوامر الامريكية، سوف لن يكتب له النجاح لسبب بسيط هو وجود الشعب الفلسطيني وثباته على استرداد حقوقه"-من ورقته تحت عنوان:خطة "اسرائيل" في شرذمة الوطن العربي تبعث من جديد.. والصفقة البائسة هي البداية.. والعراق الدولة المرشحة الاولى.

كثيرٌ من كتاب الخِفّة أشاروا لتراجع القضية الفلسطينية في أذهان العرب، كما أشاروا لوجود أعداء جدد وعلى راسهم إيران "المحتلة"، حيث تظهر "اسرائيل" برأيهم واقفة "بصلابة" الى جوار الدول أوالمحور المناويءلايران؟! (حيث المساواة غير العادلة بتاتا بالاحتلال، بين الاحتلال الصهيوني الوجودي، وبين "الاحتلال"

الايراني المرفوض في دول العرب) وكأنهما حلفاء؟ وفي حقيقة الأمر أن قتال أو عداء الجارين التاريخيين أي العرب وإيران هو الطامة الكبرى -التي نتحمل معًا جريرتها- والتي جعلت من الإسرائيلي يتعملق بكل وضوح.

هل تتعلم الامة من تاريخها؟

نعم أن تحارب الجارين التاريخيين وهما إيران والعرب ليس فيه الا مجلبة للشر، وليس لإيران أن تعيث فسادا في عواصم العرب، ولا للعرب أن يعيثوا فسادا في طهران أو مشهد أو اصفهان، وليس بمثل ذلك الا خِفة استراتيجية وتاريخية وحضارية لدى السياسيين والمثقفين.

فحين يكون جارك الجغرافي والديني والثقافي والحضاري مستقر منذ الأزل والى الأبد، فليس لك الا أن تتعامل معه، وكما كان شأن حلقات مختلفة عبر التاريخ سلبا وإيجابا اقترابا وابتعادا، وليس كما حال المحتل لأرضنا الذي يقدم نفسه بديلًا عن جيرة التاريخ، وعلى أشلائنا، ليرسم في سماء الأمة إجازة لسلب أرض العرب بموافقتهم.

علينا أن نتعلم في القضايا الاستراتيجية والحضارية المصيرية أن لا تريث، وإنما مرجعية ثابتة، وقرار واضح او منهجية فكرية صلبة، وفي شؤون الساعة من القرارات ما يمكن أن تعطى صبغة الواقعية التي لا تضر أبدا بالمصير، وحين يقولون لنا: أنتم، لهم أن يسيروا خلف القرار الوطني المستقل المتحالف مع أركان الأمة ومصالحها، فلا يتم النظر للقضية الفلسطينية من زاوية أنتم فقط وإنما نحن أنتم.

إن فلسطين أرض العرب ، وفيها للمسيحيين كما للمسلمين تمامًا، هكذا يجب أن يفهم الايرانيون والعرب، فحين يتكلمون عن فلسطين عليهم الحديث عنها بمنطق نحن، وليس أنتم بمعنى التخلص من عبء لا يريدونه، أويتحللون منه تحت ضغط السيد.

علينا نحن الفلسطينيين، نحن العرب الفلسطينيين من الذنب الكثير خاصة بتشرذمنا، ولا ننكر، وآن لنا تجاوزه، ولكن المحور العربي المصطف ضد إيران، والمحور الايراني الذي يُفسد قلب الأمة كلاهما مَن يتيح للفكروالنموذج الصهيوني أن يتمدد ويتوسع ويرتاح في بطن الأمة، بل وأن يتم الترحيب به الى الدرجة التي يصبح فيها القبول بمعلاق فلسطين او جبنتها السويسرية وفق الجزار (اللحام) الامريكي مطلبًا عربيا يتحرر فيه الأبعاض من أعباء كثيرة لطالما جعلت منهم وكانهم أسرى المباديء والقيم الثقيلة، والأيديولوجيات التي لم يعد لها مكان في هذا الزمان الاستتباعي والاستهلاكي.

الفصل الرابع:

دور جديد للتنظيم السياسي

دور جديد للتنظيم السياسي

في الآونة الأخيرة ونظرًا للخلافات التي تظهر بين التنظيمات السياسية في كل مكان، ومنها في فلسطين تتصاعد مجموعة من الدعوات غير البريئة التي تطالب باسقاط التنظيم السياسي كفكرة! وأهداف، وأطُر، وليس فقط كشخوص فاسدة أو مواقف سلبية، أوعوضاً عن إسقاطها تحاول التقليل من شأنها على فرضية أن منظمات المجتمع المدني هي المؤهلة للقيام بالدور الذي كانت تقوم به هذه التنظيمات السياسية؟

إن عملية الخلط بين الأفعال أو المواقف المشينة أو الخاطئة أوالانتهازية لأشخاص أو قيادات في التنظيم السياسي وتعميمها لتطال كل التنظيم السياسي فكرًا وجماعة ودورًا هي عملية قد تكون مقصودة أو منظّمة، وقد تمثل تساوقًا شعبيًا لمثل هذه الدعوات أوالاتهامات المبالغ بها غالبًا، أو لتقصير لدي التنظيم ذاته الذي مازال يعيش في قوقعته السابقة، أو في إطار عقليته المغلقة دون نقد ذاتي ودون تفعيل لأطر المحاسبة الداخلية أو دون الوعي بمتغيرات الحال، وأهمية الاستماع بإصغاء للآخرين، وضرورة الانفتاح الواقع في المجتمع الذي كثرت فيه الانتماءات وتشابكت فيه الاتصالات وغصّت به الأخبار والبيانات قبل المعلومات.

القضية العادلة في التنظيم

التنظيم السياسي الوطني أو الثوري مرتبط بقضية رئيسية عادلة، لا يمكنه تجاهلها ولا يمكنه ولا يجدر به التخلّي عنها حتى تحقيق النصر.

إن عبثية أو فساد طغمة في داخل التنظيم السياسي شيء متوقع، (ألهمها فجورها وتقواها) فهذه النفس الإنسانية التي فيها مَن تبهرهم الأضواء أواستبداد القائد، أو سلطة الموقع أو الكرسي فينحنون أمامها راكعين، وهناك من يدخلون التنظيم بنوايا انتهازية أصلًا للركوب على أظهر الآخرين، وعليه يصبح الصراع الداخلي لدى الطليعة أوالمجموعة الواعية لا مفر منه مع مثل هذه الطغمة.

في ظل فساد شخص أو مجموعة يجب خوض الصراع الداخلي، وليس الهروب وإدارة الظهر، وليس العمل على نقض الفكرة الأساسية، فكرة التنظيم. ولا يجوز فيه التعميم بل التخصيص، لذا فإن التنظيم السياسي لأصحاب القضية -أي قضية- ضرورة لا يمكن القفز عنها.

التنظيم وعاء الطاقات

وحتى حال تحقق الأهداف الجزئية أو الكليّة، فإن التنظيم السياسي لا ينتهي، وإنما قد تتغير مجالات النضال أمامه أو الأهداف والغايات، ولكنه يظلّ فكرة صالحة جامعة للطاقات والقدرات، ووعاءً شاملًا لا

يمكن لأي منظمة نقابية أوتطوعية أو ثقافية أو غير حكومية أن تحل محلّه.

إن النظر للتنظيم السياسي بذات النظرة القديمة لا يستقيم معها العمل والتقدم والعطاء، ففي الوقت الذي كانت فيه القضية السياسية (الفلسطينية في حالتنا) تفرض نفسها أصبح الوضع أكثر صعوبة في ظل التشابك وتعدد الانتماءات، ما يلقي على أعضاء التنظيم المؤمن بقضيته النضالية أن يتجدّد بفهمه وفكره التنظيمي، وتطوير قدراته، وآليات عمله وتدريب أعضائه على الجديد.

صلابة، وتأهيل الجيش

لم يعد الرجل الفذ أو القائد الأعجوبة أو الزعيم الرمز يمثل عاملًا جاذباً للكثير من الناس، ففي ظل الانفتاح العالمي وقِصَر المسافات الفكرية المتباعدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ظهر أبطال كثيرون، وجلّهم نمور من ورق، ولكنهم بالنسبة لمتابعيهم أيقونات تنافس أيقونة الزعيم الأوحد سابقًا.

أنت بحاجة لجيش متكامل من المنتمين الصلبين نعم، ولكنهم المؤهلين والمدربين ليستطيعوا أن يصلوا لكل فرد في بيته ومكان عمله، فينشرون الفكرة ويدافعون عنها بقناعة الصاعد للجبل.

لم يعد للطريقة القديمة جدوى كبيرة تُذكر من صحيفة تُوزع، وكتيب يقرأ، وبرنامج في الرائي (التلفزة) يؤثرأوينظّر للزعيم الأوحد! لقد

أصبحت مقولة "لينين" القديمة: "أعطني صحيفة أعطيك حزبًا ثوريًا يقلب روسيا القيصرية رأساً على عقب" تحتاج لإعادة فهم بصيغة جديدة وفق تطور الأحوال.

لقد تبدّلت الأساليب واختلفت الميادين، وأصبحنا اليوم بحاجة ماسة -في ظل طوفان المعلوماتية والاتصالات- لمخاطبة كل إنسان على حدة، وبأسلوبه وحسب ثقافته، وبشكل تبادلي تفاعلي، وهذا ما لا يقدر عليه شخص واحد، أوما لا تقدر عليه الدعاية التنظيمية (الحزبية) القديمة الموجّهة فقط، وما لا تقدر عليه الحكومة أحادية الاتجاه، أي إنك بحاجة لمنابر ومنصّات جديدة تفاعلية، وبحاجة معها لجيش مدرّب ومؤهل ينظّروينشرويدعو ويجذب ويستقطب الناس، بأليات وطرق متنوعة بتنوع شخصياتهم، وتنوع الأدوات الجديدة.

ومن هنا فإن الحفاظ على الكادر المنتمي والمؤهل والمدرب يمثل استثمارا في القضية وفي المستقبل.

التنظيمات والعمل السياسي والتحشيد

مازالت التنظيمات السياسية والأحزاب تمثل حقيقة الربط بين المكوّنات والشرائح الشعبية المتنوعة في البلد، لذا فإن وجودها يعدُّ مدخلا هامًا للجذب، والتكتيل، وتشكيل الرأي العام أو التأثير فيه.

العمل السياسي هو عمل التنظيم السياسي، وهو يعني جذب الأعضاء واقناعهم بالقضية العامة وتثقيفهم وتدريبهم، وجعلهم جنودًا متطوعين ينخرطون في فعل النضال، لا سيما وتعدّد مجالاته هذه الأيام، فلم يعد مقتصرا كما كان الأمر بالثورة الفلسطينية قديمًا ما بين العمل العسكري

والعمل السياسي الصرف (وبعض المجالات الأخرى) بحيث عنى حينها العمل السياسي العمل السلمي فقط -بعيدا عن التعريف الحقيقي لمفهوم السياسة- وفي مواجهة مفهوم العمل العسكري.

الأدوار المعتادة للتنظيم السياسي وخاصة الثوري منه أي التغييري والتقدمي هو التجميع والتكتيل والتحشيد نحو القضية أو الفكرة الأساس، ونحو الفعل المستند للهدف. وإن كانت النوازع العاطفية تلعب دورا هاما بعد النكبة عام 1948م لارتباط العديد من اللاجئين الفلسطينيين بأرضهم وممتلكاتهم وبلدهم، فأنها اليوم قد لاتكفي فيها مثل هذه الارتباطات العاطفية فقط، التي يتم تناقلها إلى الأحفاد، على أهميتها، ما يعني أن فكرة الاستناد للعاطفة الجيّاشة للجماهير، والشعور الوطني المفترض فقط، قد لا تمثل اليوم مبررًا قويّا لاستقطاب الكثيرين في طوفان الأفكار وغزو الشابكة (انترنت) والتقاطعات ما يُلقي على التنظيم السياسي الثوري النضالي عبئا جديدًا يفترض اتباع أساليب وأصول عمل تضاف للأساليب القديمة من: جلسات وتقارير وتثقيف وتكليف ولقاءات وهو ما درجت عليه التنظيمات السياسية عامة.

عالم اليوم ونحن في العام ٢٠٢٠ أصبح عالمًا متراكبا، وليس بسيطا يتناثر ويتأثر فيه الإنسان بين شتى الفِكَر والمغريات والقضايا والمُلهيات، فلم يعد من السهل أن تصل لكل شخص بالوسائل القديمة فقط، وأصبحنا جميعا بحاجة لفهم جديد للعلاقات ثنائية الاتجاه، تفاعلية، وليس أحادية الصلة حيث كان يقف الناس بانتظار كلمة الزعيم أمام الرائي (التلفزة) أو ينتظرون النشرة أو التعميم ليقرأوه!

إنك بحاجة لعلاقات وصِلة جديدة تبادلية -حيث تسمع كثيرا وتتكلم قليلا وتعمل أكثر- مع الناس تأخذ بمباديء الكياسة واللباقة وحسن الوصول لكل فرد.

بناء علاقات وطيدة

السياسة حياة الناس، والسياسي هو من يصنع للناس أسس حياتهم وفق متطلباتهم واحتياجاتهم، والسياسة قدرة على التعامل مع الضغوط والمتغيرات، والسياسة فن إدارة المؤسسة أو الدولة، والسياسة تشكل أيضا أحد أركان العمل التنظيمي التي تحتاج لاستيعابها ونشرها ليس فقط للدعاية التنظيمية (الحزبية) وهي أحادية الاتجاه، وإنما تحتاج لبناء تنظيمي صلب يقوم بدوره في البناء الجماهيري بعلاقات غير موسمية، وأنما بعلاقات طويلة الأمد عبر التالي:

١- بناء العلاقات اليومية الدؤوبة (تبادلية الصِلة)غير منقطة الصِلة مع الأشخاص المستهدفين أو الأعضاء في التنظيم، ومع المجتمع.
٢-تحقيق التطوير الذاتي لكل عضو، والجماعي المنظم لكل خلية أوفريق عمل، و المستمر عبرالدورات والندوات والتكليف بالنشاطات، وبالنسبة للجمهور عبر التزاور والخدمة والحملات الواعية المستمرة.
٣-بناء علاقات صلبة مع أفراد أساسيين (مفاتيح أو دعاة، أوكوادر متقدمة، أو شخصيات مؤثرة) من خلال تكثيف

الاتصالات والبرامج والدورات والدعم المستمرلهم بلا تقصير معهم، فهم الضمانة وهم الاستقرار وهم قناة الوصول للأخرين.

الجمهور والصورة والمصداقية

إن من أركان الوصول للجمهور التي يحتاجها التنظيم السياسي اليوم عليها أن تتبع مجموعة من القيم والمباديء الواجب التحصن بها مثل:

١-**بناء السمعة أو الصورة** التي يجب أن يظهر بها التنظيم. ومما لا شك فيه أن التنظيم يشكّل صورته الميدانية بنموذج مجمل تصرفات أعضائه ووحدة خطابهم وطريقة تعاملهم مع الناس.
٢-**تكريس المصداقية** مع الأعضاء وحتي مع الخصوم، وهي تأتي من خلال الموضوعية بالطرح، دون إنكار للفعل المخالف أو الفاسد في حدوده وموضعه، ودون تقديم وعودات لا تستطيع الإيفاء بها، أوالانخراط فيما لا تعلم، أو الدفاع عما لا تفهم، والمصداقية بتناغم الخطوات التي تقوم بها بين القول والفعل فتكون قدوة تُضاف لآخرين.
٣-**السرد الناعم** -وهو مصطلح مستخدم في الدبلوماسية العامة- فلم يعد للجبر والقسر قدرة على الوصول لقلوب الناس،كما في التنظيمات الأيديولوجية الاستبدادية المغلقة ، كما لم يعد للاتكاء على قوّة الفكرة لوحدها، أو على العواطف الجيّاشة، خاصة في ظل المنظمات والدول الديمقراطية ما تحتاج معه للطرح الكيّس والفطِن واللطيف والناعم، وبالطبع ذو المصداقية والموضوعية.
٤-**تثبيت الرواية:** تمثل الرواية طرح المنظمة (أو البلد) للواقع أوللأحداث، والقرارات، وحيث تعتمد في طريقة البناء على تفهّم عقول

الآخرين، وتخوفاتهم، وعلى تنوعهم، واستيعاب مفاهيمهم واختلافاتهم، ومخاطبتها.

٥-**التنوع للطرح** سواء من حيث طرق التناول أو تغيّر شخوصه المتناولين للطرح، أوأدواته،التي تتكامل بين اللقاءات المباشرة الضرورية وبين التواصل الالكتروني الاجتماعي.

٦-**الصلابة والمرونة**: في مقابل صلابة التوجّه نحو تحقيق الهدف، فإن المرونة مطلوبة، والمرونة المقصودة هي في الرسائل المبثوثة (طريقة طرح الأفكار) وبناء العلاقات مع الجميع ضمن دوائر متعددة (الأصدقاء والأنصار والجماهير)، وطرق تنظيم الحملات وبناء الشبكات مع الجميع ومع الجهات الفاعلة في المجتمع المدني.

7-**فتح الباب:** يجب ألا يكون الباب مغلقا بين التنظيم السياسي وأعضائه مع الناس، على الأرض وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، بل مفتوحا وتبادلي الصلة من أخذ ورد واستماع وإصغاء أكثر من الكلام، بعيدا عن الوعظية والفوقية والاستعراضية، اواستصغار الجماهير واتهامها، بل بعقلية الفهم والتقبل والرحابة.

إن بناء العضو والكادر وتثقيفه وتدريبه والاهتمام بعقله وروحه وجسده وتنمية مفاهيم الأخلاق والقيم بالتطبيق والقدوة، هو في حقيقته يمثل الواجب الأبرز للتنظيم السياسي اليوم، ليكون قادرًا على رسم الصورة المشرقة للتنظيم أمام الجمهور مباشرة او من خلال الوسائل الاتصالية الجديدة، والا فإنه لا قيمة لشعارات جميلة غير قابلة للتطبيق، أوشعارات هي بالحقيقة تتعارض مع القدرة أو تتجاوز الطاقة، أوتستخدم للتعمية والتموية أوالاستغلال غير الواقعي للعاطفة الوطنية أو الدينية.

كيف نخاطب الجاهلين؟ والحمقى؟

تجد مثل هذا الجاهل أو ذاك على مواقع التواصل الاجتماعي كثير، في كل شعوبنا، وعندنا في فلسطين بالطبع.

والرد على الجاهلين يكون بالاعتبار من قول الله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) أي بالتجاهل والإعراض، او بالاحسان أو بأن نضع الموضوع بمقداره المحدد أي بمستوى ومضمون الكلام الجاهل.

ويقول الله تعالى أيضا: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: 55].

فلا نعمم الكلام الجاهل -برأينا- على كل كلام الشخص،أي شخص، أو نسحبه على كل عائلته ثم قبيلته ثم بلده! فنكون أكثر جهلًا كما كتب برعونته عمرو بن كلثوم حين قال:ألا لا يجهلن أحدٌ علينا/فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

وإن كان لابد من جدال للجاهل أو للكلام الجاهل فنحن الخاسرون والتجاهل والقول (سلامًا) هو الأصوب، فالإمام الشافعي عانى من هذه النوعيات طويلًا حتى قال: ماجادلتُ عالما الا غلبته وما جادلت جاهلا الا غلبني .

وان لم يكن الذي يقول الكلام القبيح جاهلًا فقد يكون أحمقًا يريد أن ينفعك فيضرك. ويصح فيه المنقول عن الإمام ابوحامد الغزالي:"أشدّ

النّاس حماقة أقواهُم اعتقاداً في فضل نَفسِه، وأثبتُ النّاسِ عقلاً أشدّهم اتّهاماً لنَفسِه ."

فلنتهم ذواتنا ونثبت عقولنا، ونترك تلك الفئة من الناس، فهم لحمقهم يظنون اعتقادهم لا يأتيه الباطل من أمامه ولا من خلفه .

وإن لم يكن مَن نحاوره جاهلًا ولا أحمقًا، او مسيّرا من غيره، فلنحمد الله فهو عالم أو مدرك أومنصف أو متوازن وهذا نحاوره أو نحاججه، وللحِجاج والنقد والاقناع مبادئ لا تحيد عن الاحترام المتبادل وحُسن تخيّر الألفاظ وافتراض الصواب والخطأ في الرأي وفق مقالة الشيخ رشيد رضا:"نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه."

وبعد الجاهلين لنتكلم عن الحمقى، فالحمقى لا يموتون، والحمقى لا يستسلمون أولا يتراجعون، والحمقى لا يتغيرون، هذه باعتقادي ثلاث صفات مميزة للحمقى ممن عرفتهم، وقد تعرفونهم وتعرفون فيهم صفات أخرى لربما تميز طائفة منهم عن أخرى فيصبح لدينا أصناف متعددة .

الحمقى لا يموتون لأنهم يتناسلون ويتوالدون، وكأنهم ينقلون عدوى الحُمق كما تنتقل عدوى زكام (انفلونزا) الخنازير فتبدأ بواحد وإن لم يتم التحصين ضدها سرعان ما تنتشر، لذلك فالحمقى إن مات منهم واحد ستجد منهم العشرات يحيطون بك!

الحمقى لا يتغيرون، فهم يظنون أن الثبات على الرأي دلالة قوة ودلالة فهم ودلالة شموخ وإيمان حصين! حتي لو كانت الدفوع أو الآراء المخالفة أشد قوة بالمنطق والأسانيد والدلائل والاثباتات الواضحة، إذ سرعان ما يقولون لك غير صحيح! أو اختلف معها، حتى لو كانت مسلمات وان قلت له (كل ابن أدم خطاء) لقال لك ألا أنا! فلست خطاء لأتوب !

نعم إنه كالثور الذي يدور في الساقية ليخرج الماء، لا يحيد مطلقا عن مساره وهو يظن أنه يقطع المفازات، وهذا مغلق العينين فقد يُعذر أي الثور، فما بال مفتح العينين؟

من هؤلاء من تناطح معي ليثبت أن صدام حسين مازال يعيش ويتنزه في الدولة التي استضافته! وآخر أصر علي أن البيض لا يمكن أن يكون بصفارين رغم رؤيته الصفارين! وثالث لا ينفك يرفض الاقتناع أن العثمانيين أتراك وليسوا عربا ومصرّ بشدة، فلو أنهم أتراك لتسموا بذلك ولكنهم عثمانيين أي عرب! مفترضا النسبة للعربي الصحابي الجليل عثمان ابن عفان؟

الحمقى لا يستسلمون ولا يتراجعون (فهم معاندون أبديون، مجاكرون أو "مقاوحون" بالعامية المصرية) فهم يصرون على استخدام نفس

الأسلوب الفاشل مرة ومرتين، والثالثة نابتة وربما الرابعة وربما العاشرة.

فأحدهم كان يصر على النجاح في مادة الفيزياء دون اللجوء الى الكتاب وحل المسائل، وانما فقط استنادا لشرح الأستاذ المقتضب فتخرج من الجامعة بدرجة ساقط.

والأخر أصر على أن الحمار يستطيع أن يتعلم، ولم يفهم حكمة جحا مع الحمار فحين طلب السلطان من أحد أن يعلم الحمارالقراءة والكتابة ويعطيه ما يريد، تصدى جحا للمهمة وطلب مهلة عاما واحدا! فلما سألوه وكيف ستفعل ذلك يا أحمق؟ قال: في هذا العام إما أن اموت أو يموت الحمار أو يموت السلطان؟

إلا أن صاحبنا يعاند! فمن يستطيع تعليم القرد الرقص يستطيع تعليم الحمار! ورغم هذا الشطط ورغم الفرق بين الحيوانين علميا، فما زلنا بانتظار النتيجة من ٣٠ عاما حتى اليوم!

وبالمناسبة فإن الشخص المذكور كان يعمل في أحد بلدان الخليج العربي عاملا في مطعم فلافل....ومع احترامي الشديد للفلافل وصانعيه جميعا، اكتشفت أنه مازال بذات الموقع حتى اليوم.

من التفكير بإصلاح الكون الى العمل بغرس زهرة.

لم يكن الخالد خالد الحسن ليقبل أن تُلقي عليه بالاتهامات العشوائية، أوالتحليلات المبتورة تلك التي لا يفهم مُلقيها اين بدأ واين ينتهي! ولم يكن ليقبل من أحد أن يزيّن سَلّته الكلامية ببضاعة فاسدة لا تفهم ما تقول فتخلط بين التفاح والفجل في سلة واحدة! ما يعني افتقاد منهج التفكير أوضعف أدوات النظر والنقد لديه.

كان المفكر والقيادي العروبي خالد الحسن يلجأ لتفكيك المسائل ويرجعها الى أدوات النظر، أو مدارس العقل أو مناهج التفكير ليميز بينها في خطاب المتكلم،أي بين أربع مدارس برأيه هي مدرسة أو عقلية التنظير الفلسفي كوني الاتساع رحب الامتدادات، وعقلية القضاء التي لا تفهم الا الأسود والابيض فلا ألوان ولا ظلال ولا كلمات بين السطور، والعقلية الماضوية دائمة اللطم والتي لا تكرّم الا الماضي وتنفر من الحاضر وتهمل المستقبل، وكان يتفهم ويتبنى العقلية الرابعة أو طريقة النظر الصائبة التي رآها بمنهج الواقعية السياسية .

الافتراض الأول للواقعية في محيط العمل التنظيمي والسياسي أسبقية العمل على التنظير، أي قدم لي لأري ولا تنظّر علي، أي أسبقية العمل على التنظير أو اصلاح الكون.

الاحترام للمدارس الاخرى غير الواقعية السياسية يأتي حيث يمكن استخدامها في سياقات معينة ومحددة، خاصة حينما يكون الفضاء واسعا للانطلاق، لا ضغط للعمل وأولويته عليه ولا ضغط للزمن وحيث تكون الفرضيات هي مؤشر الاحتمالات.

من هنا فإن حُسن رؤية الواقع كما هو يكون بمكوناته، بأدواته، ومؤثراته، و بصبّ الماء بالدلاء، وليس التفكير كيف سنملأ الدلاء دون أن نجدل حبلا.

حسن رؤية الواقع يتم بالتحلل المؤقت-أي حين النظر- من علائقه الكونية أو الماضوية أوالفلسفية لتركيز النظر في اللحظة ما هو المطلوب اولا لغرض الانتقال من مرحلة التحليل أو التخطيط و اجتراح الحلول العامة، الى مرحلة التمعن بالمضمون المحدد لغرض الانتاج وتقديم العمل وهو الأصل.

لذا كان التفكير النقدي في سياق المدرسة الواقعية هنا هو تفكير تقديم العمل والمبادرة في إطار الانسجام العلائقي مع المكونات الأخرى، وكان الغرض أن يقوم كل شخص بواجبه أولا قبل أن يفترض أنه يسعى لاشعال ثورة أوتعديل مسار أو لاصلاح الكون.

في أطار التفكير النقدي تجد النقد الشكلي الهامشي كمن يركّز على المظهر دون الجوهر، وتجد النقد الموضِعي لجزء من الفكرة، كما تجد النقد البنيوي لمجمل الفكرة أو الواقعة أو العمل كما يقول المفكر حيدر حب الله، في إطار توضيحه للفروق.

وفي سياق النقد وأولوياته كتب صخر حبش القيادي في حركة فتح ما يمكن اعتماده دستورا هاما ليميز بين النقد الهامس والنقد الصارخ ويفترض موضعَةَ النقد في سياقه أو في إطاره (في البيت أو الجماعة أوالتنظيم أو المؤسسة....)، فليس ما يقال في غرفة النوم هو ما يقال على وسائل التواصل الاجتماعي بتاتا والا كانت الفضائح سِمة الفيسبوك وليس التواصل بل التفاصل، كما أنه ليس ما يقال في الاجتماع التنظيمي يفترض قوله في العلن بتاتا.

كتب المفكر حيدر حب الله مميزا بين أنماط التفكير ألاربعة عنده وهي التفكير المنظم مقابل العشوائي، والفِهمي مقابل العاجز عن الفهم،

والنقدي بأنواعه السطحي والموضعي والبنيوي مما أسلفنا والأخير هو الممدوح لديه مع ذاك التفكير النقدي البنيوي.

عندما تعرّض الكُتّاب ممن نعرفهم لموضوعة النقد لم تكن بمنطق التنقيب عن الأخطاء كالباحث عن الذهب في بطن الجبل، أو بمنطق تتبع بعض الثغرات مهما كانت واسقاطها على كل الموضوع ما تمت إدانته، ولا تعاطوا مع النقد بقصد النقد الذي ما هو الا شهوة طعن أوتنفيس ليس ألا وفي السياق الاشكالي الثأري.

النقد حيث أرى ما لا يراه الآخرون، بمحبة ولمسة حنونة وبتقديم النشاط والعمل على اختراع الكلمات، والنقد حيث أفهم واتفهم ولا أعجز، والتفكير المنظم والواقعي حيث أملا كفيّ الاثنتين بتراب الأرض الصالح للزراعة والإزهار.

سبعُ نقاطٍ تُجهض النظرَ الصائب!

الاتصالات بين الناس علاقات مفتوحة ومتبادلة، بمعنى أنها تتم بين طرفين كل منهما يضع في الوعاء المشترك نصيبه ويحدث التفاعل، ولولا هذا التفاعل المعبر عنه بالرسالة والاستجابة لما كان هناك اتصال إنساني، فالاتصال من جانب واحد مثل الحب من طرف واحد تماما لا قيمة له، وقيمته بالتبادلية والتشاركية والإقبال والانفتاح.

في الحوارات العديدة التي نخوضها في سياق السياسة والاقتصاد والمجتمع وفي الثقافة والفن، كما في شؤون إعداد الكوادر والتدريب والدراسات والكتب وعموما في أي شأن إنساني تجد من الشخصيات من تبهرك بعلمها وتجاوبها وإقبالها على العلم والتعلم والتعليم والتفكير والتأمل، ولربما من حسن حظي ان جلّ من يحيطون بي هم من هذه الفئة وقد يصدق فينا المثل هنا (أن الطيور على أشكالها تقع) فوقعنا على من هم أمثالنا.

ولكن في المقابل تدهش وتتعجب حين ترى من موانع الاتصال الكثير والذي منه ما يمنع الانفتاح ويقضي على الانسيابية المؤدية باعتقادي لحسن النظر وللتخيّر من متعدد، وبالتالي ما يمهد لحُسن اتخاذ القرار

ومن هذه العوامل المانعة للنظرة الصائبة أو المانعة لحُسن اتخاذ القرار، أو المانعة للادراك الجيد النقاط السبع التالية:

أولا: الحكم القطعي: تفاجأ بالحكم القطعي البات حول شخص أو قبيلة أو منطقة أو تنظيم سياسي أو قضية أوغيرها من شخص ظننت أنه متنور لمجرد أنه متعلم ، و يمتلك شهادة علمية، فتدهش حينما يفاجئك بحكمه القطعي! فالتنظيم الفلاني ساقط والشخص العلنتاني مريض، والقرية الفلانية كلهم حرامية! ومن يتخذ موقفا ضد الشيخ عبد المتجلي فهو كافر، ومن لا يحب الملوخية فهو آثم! وهو بمثل أحكامه القطعية الباتة هذه يمنع الانسيابية والإدراك الجيد والنظر الحكيم وامكانية التجدد .

ثانيا: الحكم العام (التعميم مقابل التخصيص) ومع الحكم القطعي تأتي عملية التعميم، فتصبح المثلبة أو السيئة من شخص واحد محدد معممة علي كل أهله أو كل قبيلته أو كل سلالته أو كل تنظيمه، أو منسحبة على كل مواقفه وكل آرائه، فلا ينظر لها ضمن خصوصية الموقف للشخص أو الجماعة، والمثير هنا آنه حين يكون الفعل خيرا لا يعمم ويقتصر التعميم على الفعل الشرير ضمن المقولة البائسة والخاطئة: الخير يخص والشر يعم!

ثالثا: الحكم أو القرار المسبق: تطلب من شخص ما أن يفكر بأمر محدد، أو أن يذهب لزيارة مدينة ما، أوليقوم بعمل ما، فيقبل أو يصطنع القبول وحين التنفيذ تكتشف التقصير فهو كان (أضمر) وقد اتخذ قراره المسبق بعدم التنفيذ، وإن أظهر الموافقة الشكلية. وإن سألته أنت من قبلت، فلم فعلت ذلك؟ لقال: لا فائدة أصلا من هذا الفعل! وهو لم يُقدم علي خطوة واحدة تؤكد أو تضعف من رأيه، انتهي الزمن لديه فلا فائدة.

رابعا: التبرير: يقول علماء فن الحديث والخطاب ان الدقائق السبعة الأولى في المحاضرة تحدد القبول اوالرفض للمتحدث وفي دراسات لاحقة آصبحت في الدقائق الثلاث الأولى، وبغض النظر عما يقال وكيف يُقال لاحقا فأن الشخص المستمِع يقوم بتبرير نظرته الأولية ورأيه أكان سلبيا أم ايجابيا، واستلال الأسانيد لتأكيدها !

وفي السياق العلائقي بين الناس يقدِم البعض على ارتكاب الكثير من الحماقات أو الاخطاء وربما الخطايا، ويتم مواجهته من الجميع بها، فلا يلجآ للتصويب أو التصحيح أو الاعتذار أوعلى الاقل الى التفكير أوالاعتراف الذاتي، وإنما يجد له من المبررات الكثير لأن التصويب عند هؤلاء يهز شخصيتهم والاعتراف بالخطأ عندهم كارثة على شخوصهم الضعيفة فيبررون ويأبون الاعتراف.

خامسا: التجافي بمعنى عدم الأقبال، فنحن إن لم نتعامل مع أي موضوع بعقلية الانفتاح والإقبال والايجابية فكيف سنتفهم ؟ و كيف سنكتسب التجربة أو الجديد؟

مادامت عقلية الرفض والتجافي والسلبية والاشمئزاز هي العقلية الحاكمة، فالشخص أصلا ينطلق من التعامل مع الموضوع من موقع رفضه أو كراهيته أوالنظرة بشكل سلبي له، فما المتوقع غير أن تكون النتيجة سلبية. انت تحول نفسك الى قمر مُحاق (مظلم) وهو يترقب منك الإشراق كالبدر التمام ما لا يستقيم.

سادسا: عدم الاستماع- وهذه من أخطر المسائل التي يتوه فيها الكثيرون، فيفترضون العلم والمعرفة وحسن الادراك لمجرد المعرفة بالعنوان، (على مقولة أن المكتوب من عنوانه والتي لا تصدق هنا على الأقل) أوالعام من الأمور، ولا يصيخون السمع فتسقط الكثير من الحقائق، بل يخسرون الشخص مقابلهم حين يهملونه أو لا يستمعون له أويضعون افتراضاته هم دون ادنى أحترام لوجهات نظر الآخرين وهي سمة عديد المسؤولين الملولين وغير المنظمين او الفاشلين .

يقول الإمام الصادق جعفر بن محمد: من أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم.

سابعا: القيام بدور لا يحتاجه أحد: قد يستغرب الكثيرون من هذه النقطة في إجهاض النظر الصائب ولكنها باعتقادي نقطة هامة، فحيث يكون الإدراك قطعيا يفترض الشخص فهمه للموقف، أي موقف، وكيف سيتصرف به،فيضع نفسه في دور لا يحتاجه منه أحد !

من مثل ذاك الميت الذي يبكيه أهله، والشخص يعطيهم تعليمات لإعداد الجنازة كذا وكذا! أويؤنبهم كيف أهملوا بمريضهم لهذه الدرجة فمات؟ او تلك الام التي تقرع ابنها لأنه أهمل في واجباته فرسب في المادة، وهو حينها أحوج ما يكون للدعاء والمحبة واللمسة الناعمة من أمه والى الدعم والمواساة وليس الى التانيب! فما وقع قد وقع والنظر يكون الى الأمام بحنو .

تم بحمد الله

الكاتب بكر أبوبكر

الكاتب : بكر محمود أبو بكر

-مواليد فلسطين ، تخرج في العام 1985 بكالوريوس هندسة مدنية.

- حاصل على الماجستير في العلوم السياسية عام 2003 .

-شارك في عدة حلقات ودورات فكرية وإدارية ونقابية وسياسية .

-عقد مئات الدورات لكوادر تنظيمية ووطنية وجاليات في عدة تخصصات انسانية في فلسطين وخارجها.

-رئيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الكويت (1984 -1986 .)

-عضو لجنة إقليم (قيادة) حركة (فتح) بالكويت (1987-1991 .)

-عضو المجلس الإداري للاتحاد العام لطلبة فلسطين منذ 1990 .

-عضو المجلس الوطني الفلسطيني (سابقا).

-عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين منذ (2005 -2010)

-مسؤول الدراسات والدورات في قيادة مكتب التعبئة والتنظيم لحركة (فتح) ، تونس (1991-1996)

-عضو قيادة مكتب التعبئة والتنظيم في الوطن منذ العام 2002 . ومسؤول التدريب وإعداد الكادر

- اللواء بكر أبوبكر نائب المفوض، ومسؤول مفوضية التدريب في التوجيه السياسي والوطني في فلسطين (1996-2008)، وتقاعد مبكرا على رتبة لواء .

-رئيس المعهد الوطني لتدريب الكوادر، ثم رئيس مركز الانطلاقة للدراسات حتى العام 2017.
-عضو المجلس الثوري لحركة فتح (2009-2016) ثم عضو المجلس الاستشاري للحركة منذ العام 2018.
* مسؤول التعبئة الفكرية في حركة فتح، مفوضية الاعلام والثقافة والتعبئة الفكرية منذ العام 2017

رئيس اكاديمية فتح الفكرية، اكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية بقرار الرئيس الصادر عام 2019
-له العديد من الدراسات والأبحاث والكتابات المنشورة في الصحف والمعتمدة للدورات المختلفة .

-مفكر وكاتب وأديب، و صدرت له الكتب التالية :

الدراسات والكتابات :

1. مفاهيم لا بد منها – عناة للطباعة والنشر – رام الله 1997م .
2. تحقيق الفوز في قيادة الحملة الانتخابية – 1999 -gups .
3. مبادئ المسؤولية التنظيمية .- عناة للطباعة والنشر- 1998
4. كيف تقيم معسكراً ؟ التوجيه السياسي، 1997 .
5. التفكير في حركة (حماس)- مدرسة الكوادر-1998
6. حركة (فتح) بؤرة الإبداع والتميز –مدرسة الكوادر-1998.
7. حركة (فتح) والتنظيم الذي نريد ، دار عناة ، 2003 .
8. وجوه القيادة، المركز الفلسطيني للدراسات، رام الله،2005
9. حركة حماس سيوف ومنابر، دار عناة، رام الله، 2008
10. أوعية الفكر الاسلاموي محاولة للفهم، دار الجندي، القدس 2016
11. حركة فتح والاسلام والعلمانية، دار الامين، رام الله،2016
12. ساطير اليهود وأرض فلسطين في القرآن الكريم، دار الامين، رام الله، 2017
13. طريق مغلق، الديمقراطية والتعبئة في التنظيمات الاسلاموية،دار الامين، فلسطين،2017
14. الانطلاقة الاغتسال في المطر والانتصار، دار الامين، فلسطين 2018

15. الوتر المشدود: أبناء فتح بين الفكر والتنظيم والسياسة، فلسطين 2019

16. القدس لا ترحل: المعالم الإسلامية والمسيحية في القدس تتحدى التزييف الصهيوني، فلسطين 2020

النتاجات الأدبية :

1-لم لا ! (مجموعة قصصية) .-دار الزاهرة-2000

2-في الزمن الواقع بإمكانكم أن تطيروا (مجموعة قصصية) ، دار الشروق، 2003

3-برق مقيم (نصوص نثرية) –اتحاد الكتاب الفلسطينيين- القدس ، 2004

4-ثلاثة شروط بسيطة (مجموعة قصصية)، اتحاد كتاب تونس 2007

5-صدر السماء الحافية (نصوص)-رام الله-دار الأمين للنشر-2011

6-بيدي أن أصير دبابة (نصوص)-رام الله-دار الأمين للنشر-2013

والله الموفق.